

## العربية: لغةٌ وكتابةٌ

د. محمد محفل

جامعة دمشق

### أ- اللغة:

١- اللغة والمجتمع.

٢- العربية وانتسابها اللغوي.

٣- العربية الفصحى، انتسابها ومكانتها.

### ب- الكتابة:

١- من الصورة إلى المقطع الصوتي.

٢- من المقطع الصوتي السوري إلى الحرف الأبجدي الكنعاني "الفينيقي".

٣- من الأبجدية الكنعانية إلى الكتابات الآرامية.

٤- الكتابة العربية الحجازية بين الأقلام الآرامية والخط المسند.

### ج- الجداول المقارنة.

د- ملاحق النقوش.

هـ- ثبت المصادر والمراجع.

### أ- اللغة:

#### ١- اللغة والمجتمع:

لا حاجة بنا إلى القول بأنه لا لغة بلا مجتمع، كما أنه لا وجود لمجتمع بغير لغة، ومن نافلة القول أيضاً أن نقرّر الصعوبات التي تعترض سبيل الباحثين وذوي الاختصاص، لمعرفة تاريخ ومكان وكيفية نشوء "اللغة الأولى" لبني البشر. فهذا ليس قصدنا ولا مجال لذلك في عجالتنا هذه، متغاضين عن أهواء أولئك الذين

اهتدوا بما جاء في التوراة، (سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر):

- ١- وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً.
- ٢- وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار فأقاموا هناك.
- ٣- وقالوا تعالوا نبني لنا مدينة وبرجاً رأسه إلى السماء...
- ٤- فنزل الرب لينظر المدينة والبرج..
- ٥- وقال الرب ها هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة..
- ٦- هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض...
- ٧- فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها..
- ٨- ولذلك سُميت بابل لأن الرب هناك بَلَّلَ لغة الأرض كلها..

لا تعليق لنا على ما جاء أعلاه!! مع العلم بأن اسم بابل لا يعني في الأكديّة- البابليّة والآرامية لاحقاً "باب إيلو/ باب إيل" سوى (باب إيل= باب الله) وإيل كما نعلم هو رب الأرباب في الهلال الخصيب، في إحدى الجُفب، ومن هنا الأسماء المركبة: اسماعيل، جبرائيل، عزرائيل، اسرافيل، الخ... ولدينا في الضاحية الجنوبية لدمشق بلدة "بيبلا" بمعنى (باب الله).

لم يكن هدفنا من هذه اللقطة الاشتقاقية لاسم بابل، سوى التمهيد لما سنلاحظه لاحقاً من تشابه جلي واضح، بين اللغة العربية، كما أدركناها في الأدب الجاهلي وفي الخطاب القرآني فيما بعد، إضافة لما نجده في مختلف وثائق الحضارة اليمنية والنقوش القديمة (ثموديّة، لحيانيّة، صفائيّة، وقال البعض صفويّة) وجميعها بالقلم المسند، أي بالتراث اللغوي لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ هذا من ناحية، وبين لغات بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، إضافة لشمال إفريقية، تلك اللغات واللهجات التي أطلق عليها البعض اسم اللغات "الحامية- السامية".

أعلن نفر أن السريانية هي لغة "الإنسان الأول" واحتجّ آخرون على ذلك زاعمين أنها العبرية -مع العلم بأنه لا كيان لـ "عبرية قديمة" خارج دائرة اللغتين الكنعانية والآرامية، وأكد آخرون أنها العربية؛ بل شطت مخيلة هذا الفريق أو ذاك، عندما زعموا أن لغة أهل الجنة هي هذه أو تلك!!

غني عن البيان أن شتى هذه الدعاوى لا علاقة لها بمنطق الأمور، وتندحسها مختلف الدراسات اللغوية المقارنة. ولا مجال لنا للاستغراق في الحديث حول ذلك. ولكن لا بأس من ذكر بعض هذه الدراسات (1)، إذ من البديهي أن يطمح البعض إلى متابعة هذه النقطة أو تلك، وهذا أمر مفهوم.

قال البعض، إن الإشارات والرموز التي ظلت الوسيلة الوحيدة للتفاهم لدى الجماعات البدائية، حتى مطلع قرننا هذا، (مجاهل أقيانوسية وإفريقية الخ....)، والتي نلاحظها في الطفل قبل أن يتعلم الكلام، تعطينا فكرة تقريبية عن وسيلة التفاهم الأولى لدى الكائنات البدائية، وبعد الإشارات هذه جاءت الأصوات فالكلمات: أحادية الصوت أو ثنائيتي الخ... ثم كانت اللغة؛ والحالة هذه، فاللغة أصلاً هي أصوات وليست كلمات، والكلمة صوت يرمز إلى معنى، وكتابة الكلمة رسم يرمز إلى هذا الصوت، إذا فالصوت هو الأصل. جاء في القاموس المحيط (الفيروز آبادي): "واللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم". ويضيف ابن منظور في مادة "لغا": ".... واللغة، اللسن، وحذوها أنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم..."

ونلخص فقرتنا هذه بما قاله (الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح): "... وقد يصعب على الباحث معرفة متى وأين وكيف بدأت اللغة، إلا أننا لا نعدو الصواب، إذا قلنا: إنها بدأت عندما تكونت أول جماعة إنسانية في هذا الوجود، ولا نعدو الصواب أيضاً إذا قلنا: إن الجماعة الإنسانية الأولى -أياً كان طابعها- عندما تكونت صحبت معها مشاكلها الخاصة، الناتجة عن علاقات الأفراد بعضهم ببعض، والناتجة عن علاقة الإنسان بالبيئة والطبيعة.

وفي سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة في نوعها، تولّد النشاط الإنساني في استخدام الصوت، لتكوين ألفاظ لغوية، بدائية الطابع، والإنصات لتلك الأصوات، بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي عن طريق الأذن. تجسّد هذا النشاط الإنساني المتميّز من كائنات الطبيعة الأخرى، في صيحات موسيقية، تومي بمعانٍ سحرية، تختلف في دلالتها باختلاف موسيقاها.. بذلك تكوّن العنصر الأساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالإنسان وحده.. وليست على هذا الأساس، البيئة التي يحيا فيها الإنسان، يعمل ويبحث مادية فقط، بل ثقافية كذلك، فأفعال الإنسان وكيفية أدائه لها، لا تتوقف على التكوين العضوي لجسده فقط، بل البيئة والإنسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبث في التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والأهداف والمعتقدات التي تحملها الألفاظ اللغوية. في طيّها وتوحي بها. (2)

## 2 - العربية وانتسابها اللغوي.

من الأمور المقررة حالياً -في الدراسات الجامعية والأكاديمية- والخاصة بأصل الشعوب وألسنها، أنه لا يمكن أن نقيم علاقة مطلقة بين الأصل العرقي لشعب ما، وبين اللغة التي ينطق بها، ويمكننا أن نتيقن من ذلك، بدلائل وشواهد قديمة وحديثة، إذ نجد أقواماً وشعوباً تهجر ألسنتها الأصلية، لمصلحة ألسن أقوام أخرى، لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية الخ.... فمثلاً اللغة الحورية اندثرت في سورية، بعد زوال سلطان الدولة الميتانية، في نهاية القرن الرابع عشر (ق.م)، لمصلحة لغة السكان المحليين. الكنعانية فالآرامية. وكذلك الفلسطينيون<sup>(١)</sup>، وهم من أقوام شعوب البحر<sup>(٢)</sup>، فبعد استقرارهم على الشريط الكنعاني الجنوبي، هجروا لغتهم لمصلحة الكنعانية، وكذلك أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم الاسرائيليين القدماء فاليهود فيما بعد، منذ تسللهم إلى فلسطين، بعد القرن الثاني عشر (ق.م) ومروراً بالسبي الآشوري (٧٢١ ق.م) فالبابلي بمرحلتيه (٥٩٧/٥٨٦ ق.م) وانتهاء بتشريدهم النهائي على يد الرومان (عام ١٣٥م).... أما بالنسبة للأزمنة الحديثة والمعاصرة، فالشواهد على ذلك وافرة متنوعة: فالأقوام والشعوب التي تنطلق اليوم بالإسبانية والبرتغالية في مختلف أنحاء أمريكا الجنوبية، لا حصر لأصولها العرقية، ونحن نعلم أن الاسبانين والبرتغاليين قد شرعوا في استعمار العالم الجديد- لاسيما القسم الجنوبي منه- منذ مطلع القرن السادس عشر.

<sup>(١)</sup> نعتي بهم أولئك الجماعات الذين هاجموا سواحل الدلتا المصرية، وبعد فشلهم توجهوا نحو الساحل الكنعاني الأدنى / الفلسطيني، حيث استقروا على الشريط الساحلي الممتد من يافا حتى غزة وأسسوا عدة مدن منها اشدود وعسقلان. واسمهم في المراجع الانكليزية حالياً plaestinian وهم غير "الفلسطينيين palestinian

<sup>(٢)</sup> وهم الأقوام الذين اكتسحوا الخوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط- ومنهم الفلسطينيون- في القرن الثاني عشر (ق.م)، انطلاقاً من جزر بحر إيجه وكريت بل ومن صقلية وسردينيا. الخ....

## ❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

وشاع استعمال هاتين اللغتين، ذات الأصل اللاتيني، بين سكان أمريكا الجنوبية، إلى درجة كبيرة، مما جعل البعض يطلق اسم "أمريكا اللاتينية" على القسم الجنوبي من القارة الأمريكية، ومما قيل عن الشعوب الناطقة بالاسبانية والبرتغالية ينطبق على بعض الأقوام الأفريقية والآسيوية التي اعتمدت اللغة الفرنسية أو الإنكليزية لغة رانجة لها، مع احتفاظها أحياناً (كالهند مثلاً) بلهجتها القومية.

تنتسب لغتنا "العربية الفصحى" إلى تلك المجموعة اللغوية، التي أُطلق عليها تجاوزاً اسم "اللغات السامية". وهي اللغات واللهجات التي تكونت في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم اعتباراً من الألف الرابع (ق.م). وأول من نادى بالنظرية السامية بدءاً من عام ١٧٨١، الباحث النمساوي شلوتسر معتمداً -لأسباب سياسية/ كهنوتية- على ماجاء في (سفر التكوين، الإصحاح العاشر)، ومن يقرأ هذا الإصحاح يلاحظ مباشرة أن كاتب النص يقسم الشعوب والأقوام لاعتبارات سياسية، لاسيما موقفها من أهل التوراة، ومن الأمثلة على ذلك، أنهم أخرجوا الكنعانيين من دائرة "الشجرة السامية"؛ علماً أن مختلف الدراسات المقارنة قد أظهرت الصلات الجوهرية والوشائج المطلقة، التي تشد الكنعانية إلى غيرها من لغات مشرقنا العربي القديم. ثم جاء بعد شلوتسر من عمل على ترويج هذه التسمية وفي مقدمتهم العالم الفرنسي (إرنست رنان)، بل راح "يفلسفها" عرقياً، خدمة للمدرسة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر.

نحن نرفض جازمين نظرية "التسمية السامية"، لأسباب علمية محضة، ولدوافع سياسية وقومية: أولاً: فمن الناحية العلمية، دحضت مختلف الدراسات العرقية والإنسانية (انثروبولوجية) نظرية وحدة السلالة أو الأصل MONOGENISME/ MONOGENISM بمعنى أن مختلف أفراد شعب ماينحدرون من شيخ واحد(3).

ثانياً: التسمية ذات أصل توراتي -كما ذكرنا أعلاه- كما أن الاستشراق الغربي قد "ابتدعها" وروجها، لأسباب سياسية/ مذهبية، لم تعد خافية على أحد، وذلك في أوج اندفاع الاستعمار الغربي، وقبل قرن تقريباً من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول. كما أننا اكتوينا كافياً برعونة سلاح: سامية/ لاسامية، وإضافة لهذا وذاك، لا نجد أثراً لهذه التسمية في مؤلفات علمائنا وشيوخنا الأوائل؛ وما نقرره هنا، قد نبهنا إليه منذ ربع قرن تقريباً في المقدمة التاريخية لكتابتنا (المدخل إلى اللغة الآرامية)، المقرر في جامعة دمشق، والمعمول به حتى يومنا هذا، إذ قلنا أن المهمة ملقاة على عاتق الباحثين العرب المعاصرين لإيجاد بديل للتسمية التوراتية... ويدخل الموضوع في باب "السهل الممتنع" لانتشار هذا الخطأ الشائع في الأوساط الجامعية، عربياً ودولياً. وقد سبق أن انتبه لإيهام التسمية بعض الباحثين العرب، لاسيما الأستاذين محمد عزة دروزة وجواد علي، وقد لخص هذا الأخير الموضوع كما يلي: "... ولعلني لا أكون مخطئاً أو مبالغاً إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و(سامية) بـ(عربي) و(عربية)... ولما كان العلماء قديماً قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت فيها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم (جزيرة العرب) أو (شبه جزيرة العرب) غير مراعين في ذلك تعداد المواضع أو اللغات واللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة (العرب) إلى عالم الوجود، جاز لنا بل وجب علينا -على ما أرى- أن نستبدل مصطلح (السامية) بمصطلح (العربية)، فنكون بذلك قد لاحظنا عاملين مهمتين: عامل القرابة اللغوية والأصل اللغوي، وعامل وحدة المكان.. وإذا وافقنا على إقرار هذا الاصطلاح، نكون قد تقريبنا نحو العلم، وابتعدنا عن الأساطير، أسطورة انحدار الساميين من صلب

رجل هو سام، وحري بالعلم أن يبنى أحكامه على حقائق علمية، وأن يبتعد عن القصص والأساطير" (4).

وغني عن البيان، أنه لا يمكن تمييز أولئك "الساميين" عن غيرهم من أقوام وطننا العربي القديم، استناداً إلى ماهية العرق البشري فقط، إذ أن هؤلاء قد امتزجوا، منذ الألف الرابع (ق.م)؛ بسواهم من الأقوام المنحدرة من جبال زاغروس أو المتدفقة من بلاد الأناضول أو الوافدة من جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط: من سومريين (3) وغوتيين (4) وحثيين (5) وكاشيين (1) وحوريين-ميتانيين (7) وفلسطينيين (8) وفارس أخميين (9) وإغريق ولاتين (10) وغيرهم. ومع أن أولئك الأقوام قد نطقوا بالسن مغايرة لما كان سائداً في ربوعنا، فلم يتمكنوا من فرض لغاتهم على أهل البلاد، فظلت محدودة في أوساطهم لتندثر بزوال سلطانهم السياسي.

وأظهرت شتى الدراسات المقارنة الخاصة بأصول السلالات البشرية (الاثنولوجية)، أن عملية تمازج الشعوب لم تنقطع منذ عصور ما قبل التاريخ، من جراء الهجرات البشرية المختلفة، مما أدى إلى اختلاط دماء شتى الشعوب، وينطبق هذا الأمر على وطننا العربي القديم كما ذكرنا أعلاه.

ولا ينبثق اختلاف الأمم في التفكير والسلوك عن نوعيات عرقية مطلقة، بل يتحدد ذلك بالشروط والظروف الاقتصادية-السياسية والاجتماعية لشعب ما، إضافة للعوامل الجغرافية التي تؤمن شروطاً مناخية معينة، لا يُنكر دورها في هذا المضممار. وعندما نشير إلى جنس ما، فلا يخطر على بالنا صفاء عرقه، بل نقصد بذلك تلك الصفات التي تميز حضارته وثقافته في مختلف الميادين، على مرّ الأيام والسنين، وأهم حقل تشع فيه الخصائص المشتركة لأمة من الأمم، هو حقل اللغة، ويبدو هذا الأمر جلياً واضحاً في لغات ولهجات وطننا العربي عبر العصور. وإليك أهم خواص وميزات تلك الألسن، في بعض مركباتها، وأحوالها واختلافاتها عن غيرها من اللغات.

أ- اشتقاق أغلبية المفردات من جذر ثلاثي، ولذلك أطلق علماء اللغة عليها صفة "ثلاثية الجذر" TRILITERE / TRILITERAL / ونعلم أن المشتق ومصدره، في لغتنا العربية وأخواتها، يتفقان في الحروف الأصلية وترتيبها، فنقول: "تَصَرَّ ونَاصِر ومنصور ومنتصر وانتصر الخ.. وكَتَبَ وكَاتِب وكتابة ومكتوب ومكتبة وتكاتب الخ.. ونَفَقَ واستنَفَقَ والنافقة والنفقة والمنفاق الخ..." نلاحظ أنه في مختلف المفردات المشتقة من

(3) ظهر السومريون في المنطقة الجنوبية لبلاد الرافدين، بدءاً من منتصف الألف الرابع (ق.م)، وقد اعتبرهم البعض سابقاً غرباء عن المنطقة وأظهرت دراسات مقارنة حديثة إمكانية تطوّرهم عليها.

(4) انحدروا إلى بلاد الرافدين عبر جبال زاغروس، في أواخر الألف الثالث (ق.م) وساهموا في القضاء على الدولة الأكديّة.

(5) من أقوام أسية الصغرى، انطلقوا من الأناضول ليقيموا بدور ملحوظ في النصف الثاني للألف الثاني (ق.م)، في البقاع الشمالية لسورية وأحياناً في بلاد الرافدين.

(6) موطنهم الأصلي في أواسط جبال زاغروس، احتلوا مدينة بابل وورثوا ممتلكاتها ودام حكمهم نحو أربعة قرون ونصف (١٥٩٥-١١٦٠ ق.م).

(7) أسس الحوريون الدولة الميتانية التي كان لها دور بارز في شمال بلاد الرافدين وسورية في القرنين السادس عشر والخامس عشر (ق.م).

(8) انظر ماجاء عنهم سابقاً.

(9) أسسوا أول دولة فارسية في منتصف القرن السادس (ق.م) ليقتضي عليها الاسكندر المقدوني عام (٣٣١ ق.م).

(10) في العصرين الهلنستي (السلوقي) والروماني (الرومي).

## ❖ التراث العربي ❖

(نصر)، أن ترتيب الحروف ثابت (ن/ فاء الفعل، ص/ عين الفعل، ر/لامه)، وكذلك بالنسبة لـ (كُتِبَ: ك، ت، ب) وأيضاً لـ(نَفَقَ: ن، ف، ق).

ونعلم أيضاً أنه في بعض المشتقات يحصل اتفاق في الحروف الأصلية، دون ترتيبها، مع تناسب في المعنى، وذلك هو الاشتقاق الكبير (القلب). والاشتقاق في لغتنا العربية وأخواتها هو على ثلاثة أشكال: الاشتقاق الصغير، وهو اشتقاق كلمة من جذر بشرط أن يكون بين المفردتين تناسب في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، مع تغاير في الصيغة، مثل: كُتِبَ، كتابة، مكتوب الخ.. ثم لدينا الاشتقاق الكبير، حيث نجد تناسباً في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف، مثل جَذَبَ وجَبَذَ، طاف وطفأ، جَدَلَ وجَلَدَ الخ... وقالوا أيضاً: "القلب" كما ذكرنا. ويأتينا بعد ذلك الاشتقاق الأكبر وهو "الإبدال" حيث نجد بين لفظين تناسباً في المعنى ومخارج الحروف دون تناسب في اللفظ، نحو: نَفَقَ ونَهَقَ، ضَمَ (ضَمَمَ) وضَمَدَ، رَصَ (رَصَصَ) ورَصَفَ، رَجَ (رَجَجَ) ورَجَفَ، الخ.. هذا، إضافة إلى الاشتقاق الكبار، وهو النحت، وهو أن تختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، ولا يُشترط فيها حفظ الكلمات بتمامها، ولا يؤخذ أحياناً من كل الكلمات كما أنه ليس من الضروري موافقة الحركات والسكنات، ولكن لابد من مراعاة ترتيب الحروف والنحت عند جمهور العلماء على أربعة أشكال:

فعلي، نحو: بِسْمَل (إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم)، حَوَّل (لا حول ولا قوة إلا بالله)، حَمَدَل (الحمد لله)، سَمَعَل (السلام عليكم)، حَسَبَل (حسبي الله)، جَعَقَل (جعلني الله فداك). الخ... والوصفي نحو: الصلدم بمعنى الصلد، وهو الأسد أيضاً، والاسمي، نحو الجلمود، بمعنى (الصخر القاسي، من جلد وجمد) والنسبي، وهو أن نشق من منسوب مدينتين أو بلدين أو شخصين منسوباً واحداً، نحو عبدلي (نسبة إلى عبد اللات) وعبدري (من عبد الدار) وطبرخزي (من طبرستان وخوارزم) الخ...

ولكل ذلك أصوله القياسية لدى جمهور العلماء. وعندما نقع في العربية على كلمة يتجاوز عدد حروفها الصامته ثلاثة حروف أصلية، فعلينا أن نتأكد أنها ليست دخيلة وحينئذ نبحث عن أصولها الاشتقاقية. هذا في لغتنا العربية وكذلك في أغلبية أخواتها القديمة.

ب- انعدام الحياد في لغتنا العربية وفي أخواتها القديمة: كالأكدية-البابلية- الآشورية والكنعانية والآرامية ولغات ولهجات شبه الجزيرة العربية القديمة من سبئية ومعينية وحضرية وحبشية ولحيانية وثمودية وصفائية وكلها بالقلم المسند، بأشكاله المختلفة، وذلك في أسماء الجنس والصفات وأسماء الإشارة والموصول والضمائر والأعداد، الخ... فهي إما أن تكون مؤنثة أو مذكرة، بعكس ما نجده غالباً في اللغات الهندو-أوروبية، التي تضم المحايد إلى جانب المذكر والمؤنث. ويبدو هذا جلياً واضحاً في اللغتين اليونانية القديمة واللاتينية وكذلك في لغات حديثة كالألمانية والانكليزية (ضمير IT).

ج) تفردها بأصوات الإطباق (القاف، الصاد، الطاء، الظاء، الضاد)، ونجد الأصوات الثلاثة الأولى (ق، ص، ط) في العربية وأخواتها، بينما تعرّض حرفا (ظ، ض) للتبدل في بعضها. وقالوا إن صوت (الضاد) مقتصر على العربية الفصحى الحجازية، ومنه قولهم (العربية لغة الضاد). ونعتقد أن هذا غير صحيح. فأولاً نجد حرف (الضاد) في النقوش السبئية والحميرية على شكل ( 𐩦 ) ليتطور إلى ( 𐩦 ) ثم ( 𐩦 ) وأخيراً ( 𐩦 )، ويمكن للراغب في الموضوع أن يطالع كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) (5)، في النقوش التالية (رقم النقش فالسطر) مع مراعاة الترتيب الأبجدي للمفردات:

(ضأن، اسم جمع، كالعربية ٧/١٨)؛ (ضبا، بمعنى خَازِب، ٧/٤٠)؛ (ضرس، بمعنى طوى بالحجارة ١٢٠/١)؛ (ضرك، طوى بالحجارة ١٢/٧)؛ (ضرع، بمعنى هزم، أَذَلَّ ١٨/٢، ٨/١٢، ٢٩/٧٣ ويأتي أحيانا غَرَبَ، مال، ٢/٣٤)؛ (ضفر، بمعنى ضَفَرَ، طوى بالحجارة بنراً ١/٣٦)؛ (ضمد بمعنى دعا إلى هدنة ٥/٦) الخ... كما تأكد وجود حرف (الضاد) في النقوش الثمودية والصفائية (6)، كما قلنا أعلاه، نقول صفائية لاجتباب اللبس مع الصفوية (نسبة إلى الدولة الفارسية الصفوية ١٥٠٢-١٧٣٦م). وعلى قول بعضهم مؤخراً وجَد حرف (الضاد) في أحد النقوش الأوجاريتية (7)، وإضافة لهذا وذاك، نلاحظ هذا الصوت في بعض اللغات الأوروبية الحديثة.

فمثلاً في الانكليزية، فعل عَمَلَ (DO, DID , DONE)، فنلفظ (DO, DID) بحرف (د D)، أما (DONE) فنلفظها بحرف الضاد، هكذا (ضَنَ). وكذلك في الفرنسية، فلو أخذنا فعل PRENDRE (أخذَ)، في المستقبل، فنقول JE PRENDRAI (متكلم مفرد)، فحرف (D) هنا نلفظه (د)، أما في المتكلم الجمع، NOUS PRENDRONS وكذلك في الغائب الجمع ILS PRENDRONT فنلفظ حرف (D) وكأنه صوت (الضاد)، ولناخذ حرف (ط)، من أصوات الإطباق، فمع أن هذا الحرف غير موجود في الأبجدية الانكليزية، ولكننا نسمعه أحياناً، ولنلفظ مثلاً NOT (لا) و BUT (لكن)، فنسمع حرف (T) في الحاليتين وكأنه حرف (ط)؛ وعلى كل يختلف عن حرف (T) في TO (إلى، نحو، الخ....) و TO TAKE (أخذَ) الخ.... ومن أصوات الإطباق أيضاً، حرف (ق) الذي يقابل حرف (Q) في الأبجدية اللاتينية، فتارة نسمعه بصوت (ق) وأخرى بصوت (ك).

فلنأخذ مثلاً كلمة (QUOIQUE)، بمعنى (مع أن، وإن، ولو) الفرنسية، ففي مطلع الكلمة نلفظه بصوت (ق)، والحرف الثاني بقيمة (ك) وكذلك في الانكليزية، وعندما يراجع المرء باب (Q) في المعاجم الفرنسية والانكليزية يعثر على أمثلة شتى مماثلة.

ومع ذلك، فما أوضحناه أعلاه لا يلغي البند (ج) الخاص بـ(أصوات الإطباق)، والأمر ليس بهذه السهولة والبساطة. ولكن من الواضح أيضاً، أنه ما من أبجدية عكست قديماً وحديثاً، مختلف أصوات لغة أصحابها بشكل مطلق<sup>(١)</sup>.

والمشكلة قائمة أيضاً، كما نعلم، في كتابتنا العربية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا، فمثلاً بالنسبة للحركات الثلاث: (الضمة والفتحة والكسرة)، المعبرة عن الصوائت (الواو، الألف، الياء). فكم من صوت تعجز هذه الحركات عن سلامة نطقه، لاسيما في اللهجات المحلية في مختلف ربوع وطننا العربي. ولا ندري حقاً لماذا اقتصر أسلافنا العلماء على هذه الحركات الثلاث، مع الشدة والسكون، علماً أن الكتابيتين: الأرامية المتطورة والسريانية فيما بعد، قد ابتدعتا عدداً أكبر من الحركات (الكبرى، والصغرى) المعبرة عن أصوات تعجز أحياناً كتابتنا العربية عنها (8).

نرانا أسرفنا في الموضوع... ولا مجال لأكثر من ذلك في عجالتنا هذه.... ولكن الإشكال مازال قائماً وينتظر الحل على يد علماء اللغة العرب.. اليوم وغداً.

(د) يأتي العدد في لغتنا العربية وأخواتها، من ثلاثة إلى عشرة، على عكس المعداد، فهو مذكر مع المؤنث

<sup>(١)</sup> يقول ابن جني في "الخصائص": "العبرة في إثبات الحرف بالنطق لا بالخط، لوجود اللفظ قبل الخط".

## العربى القرائ

والعكس صحيح، أما العدنان (واحد، واثنان) فيأتيان بموجب المعداد. فنقول : رجل واحد، وامرأة واحدة، رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، وثلاثة رجال، وثلاث نساء الخ.... إلا إن كانت العشرة مركبة، فهي على وفق المعداد. وللمقارنة مع اللغتين الآرامية والسريانية لدينا بعض المراجع المحلية الجامعية.(9).

د) تضم لغتنا العربية مختلف الأصوات الحلقية (الهمزة، الحاء، الخاء، العين، الغين، الهاء)، بينما لم تحتفظ أخواتها إلا ببعضها، وأقلها الأكديّة التي لم تحتفظ سوى بصوتي (الهمزة والحاء).

و) تشابه الضمائر المنفصلة إلى درجة كبيرة، وكذلك طريقة ارتباط الضمائر المتصلة بالأفعال والأسماء والحروف الخ...

ز) التشابه الكبير في المفردات الدالة على أعضاء الجسم والعدد وصلات القرابة ومختلف مرافق الحياة المألوفة لدى أسلافنا في العصور القديمة وحتى صدر الإسلام، إضافة إلى التشابه في الضمائر والحروف وأسماء الإشارة، الخ...

وإليك الجدول المقارن لبعض تلك اللغات.

عربي شمالي	أكدي/بابلي/آشوري	كنعاني	آرامي/سرياني	يمني/حبشي
أب	أبو	أب	أبا	أب
ابن	بنو	بن	بر	بن
أخ	أخو	أخ	أخ	أخو
إبن	إزنو	إزن	أود	أزن
أربع	أربعو	أربع	أربع	أربع
اسم	شومو	شم	شم	شم
أم	أمو	أم	أما	أم
جمل	جملو	جمل	جمل	جمل
دم	دمو	دم	دم	دم
و(حرف عطف)	و	و	و	و
زَرَع	زرُو	زَرَع	زَرُعا	زَرَع
يَد	أدو	يَد	أيدا	أد
كوكب	كاكبو	كوكب	كوكبا/كوخبا	كوكب
ماء	مو	مَيم	مايا	ماي
موت	موتو	موت	موتا	موت
ست(٦)	ششوا	شيش	شيش	شيشو
عين	أنو	عين	عيناً	عين





ج- والوثيقة الثالثة هي كتابة "زَيْد" وهي خربة، تقع جنوبي- شرقي حلب، ويرجع تاريخه لعام (٥١٢م) ويتكون النقش من كتابات بثلاث لغات: يونانية وسريانية وعربية قديمة. (انظر جدول رقم (٣)، خانة ٨)، ونقشت الكتابات على حجر كائن في صرح الكنيسة.

د- أما النص الرابع، فهو الشهير بنقش "حران"، (الصفاء، في اللجاة، شمالي جبل العرب)، وتاريخه هو عام (٥٦٨م). وهو منقور في حجر فوق باب مزار، وأغلب الظن أنه يعود لأحد أمراء كندة، الذي أشار على حاشيته به، بمناسبة تدشين مزار (مشهد/ مرطور) تكريماً للشهيد القديس "يوحنا المعمدان". وتمتاز هذه الوثيقة بكون لهجتها قريبة إلى درجة كبيرة من العربية الحجازية، ولاسيما لهجة قريش. كما أن الخط يقترب كثيراً من النسخي القديم (١١). واعتباراً من هذا النص، راحت الكتابة العربية الشمالية (الحجازية) تتباعد تدريجياً عن القلم النبطي. (انظر ملحق (٣) "١" و جدول رقم (٣)، خانة ٧).

تزداد حيرتنا أكثر فأكثر، عندما نقيس ركاقة أسلوب محتوى النقوش، التي أشرنا إليها أعلاه، ببلاغة سحر الشعر الجاهلي وجزالته فالقرآن الكريم، مما لا شك فيه، أن تلك الكتابات الوجيزة لا تعكس بالضرورة حقيقة لغة التخاطب اليومي، وبالأحرى، ماهية الخطاب الأدبي. لسكان شبه جزيرة العرب، ولاسيما في ربوعها الوسطى والشمالية (نجد، الحجاز، بلاط الحيرة، بادية الشام الخ....) ومع ذلك، يظل ذلك الموضوع الملح، الذي شغل بال علمائنا السابقين والباحثين المحدثين، من عرب وغيرهم، قائماً وبلا جواب مقنع حاسم، حتى يومنا هذا، وعيننا بذلك: أين ومتى تمت تلك "الطفرة النوعية، للغوية لعربيتنا الفصحى، التي أدرناها في بلاغة وبيان الشعر الجاهلي ثم في الإعجاز القرآني فجزالة الحديث الشريف؟....

قد يتسبط البعض كنه المشكلة بحصره القضية في عبقرية قريش وعالمها... وقد يلجأ آخرون إلى القول، إن عربيتنا الفصحى هذه، هي أبدية أزلية بصفتها لسان إنساننا الأول، في شبه جزيرة العرب، منذ أن كان... وقد "ينسف" نفر آخر شتى "أقاويل" الشعر الجاهلي وغيره، كما عهدنا ذلك في العقود الأولى من قرننا العشرين هذا.... الخ... أما الرأي الأول، فليس بالجواب الشافي... في حين أن الزعم الثاني تنقضه مختلف لهجات النقوش اليمنية واللحيانية والثمودية والصفائية الخ (من القرن التاسع ق.م وحتى القرن الرابع للميلاد).. وكذلك الاجتهاد الثالث، الذي دحضت دعاويه، مختلف الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، التي بحثت موضوع لهجات ولغات شتى الأمم والشعوب، منذ خطواتها البدائية وحتى نهاية العصر الوسيط، فاقترحت سلسلة المراحل التالية، التي واكبت -كما سنرى- مخربشات GRAFFITI الإنسان البدائي وحتى ايداع الأبجدية، مروراً بمختلف الأشكال والصور الكتابية:

الأصوات ← التتممة ← الغناء ← السجع/الرجز ← الشعر ← النثر.

لا ندرى!... ألا يكمن بعض الجواب عن إشكال عنصري الزمان والمكان "للفطرة النوعية"، التي أشرنا إليها أعلاه، في غموض مفهوم المساحة الجغرافية لعالم "العرب" على مرّ العصور وكذلك في تطور دلالات كلمة "عرب" على كَرّ الأيام والسنين؟...

من المعروف، أن مختلف -ونقل غالبية- اجتهادات علمائنا السابقين، وكذلك أبحاث ودراسات المستشرقين والباحثين العرب المحدثين، قد حصرت مجال نشأة وتطور اللغة العربية "العتيقة" في قلب الجزيرة العربية، أو بالأحرى، في تلك الربوع الشهيرة حالياً باسم "المملكة العربية السعودية" إضافة إلى اليمن

والإمارات العربية، وكان مجتمعات شبه الجزيرة تلك، كانت في عزلة تامة عن عالم الهلال الخصيب ووادي النيل، وطبعاً، دون أن يتقاسوا تلك الموجات البشرية "السامية" المنطلقة من قلب الجزيرة العربية، بين حقبة وأخرى، لتستقر في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، بل راح بعض المحدثين "يفلسف" الموضوع برسمه تواريخ محدّدة لتلك الهجرات البشرية "السامية (كذا)" عبر العصور: انطلاقاً من الألف الرابع (ق.م). فالعصر الأكدي/ البابلي، ثم الكنعاني فالآشوري/ الآرامي حتى الفتوحات العربية/ الإسلامية.

وقبل أن نسعى إلى إيضاح ما يدور في خلدنا، نودّ الإشارة إلى مآذهب إليه بعض المستشرقين. فمنهم (ثيودور نولدكه ١٨٣٦-١٩٣٠) مثلاً جعل بلاد أرمينية المهد الأصلي "للساميين". ويبدو أن قوله هذا جاء متأثراً بما ورد في (سفر التكوين، الإصحاح الثامن، ٤). لتعيين البقعة التي استقر فيها فلك نوح: "واستقرت السفينة في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منه على جبال أرارات"<sup>(١٦)</sup>. وزعم آخرون أن الحبشة هي الموطن الأصلي، بينما ذهب (غويدي) إلى أن الحوض الأسفل لنهر الفرات هو ذلك المهد، واقتصرت طائفة على ربوع اليمن كمهد أصلي، في حين أن العدد الأكبر من هؤلاء قد نادى بنظرية (قلب شبه الجزيرة)، وفي عدادهم: سبرنجر وشرانر وده خوييه، وبروكلمان وهوغو وينكلر الخ...

أما النظرية الأرمينية، فقد تداعت أوهامها، في حين أن الفرضيات الأخرى لا تخرج عن دائرة شبه جزيرة العرب، ماعدا الحبشة... وهنا بيت القصيد: هل نظلّ حبيسي الاجتهادات والآراء التي أبعدت بلاد الهلال الخصيب مع وادي النيل عن دائرة العالم اللغوي، حيث نشأ وتطور لسان أسلافنا الأولين، بمراحلها المتعاقبة، قبل إيداع الكتّابيتين المسمارية والهيروغليفية، "لنلتقط براعمه" فيما بعد، في النقوش فالكتابات الرافدية والمصرية والشامية الخ... اعتباراً من مطلع الألف الثالث (ق.م)؟! وهكذا، فمادما ننهج على منوال أولئك ونتبع خطاهم، بعزلنا عالم الهلال الخصيب ووادي النيل عن محيط شبه الجزيرة العربية، فلن نبليغ ضالتنا المنشودة ونظل ندور في حلقة مفرغة... فذلك النهج يحرم عربيتنا الفصحى، هذه الشجرة الراسخة الباسقة، من جذورها المتأصلة في شتى أصقاع وطننا العربي، وفي الواقع، فالخلل ليس قريب العهد/ طارئاً، بل أصلياً/ متأصلاً، في التراث العربي-الإسلامي.

لقد غاب الأمر عن بال أغلبية علمائنا السابقين، منذ فجر الإسلام وحتى عصر نهضتنا المعاصرة، لأسباب وأسباب منها جهلهم الفاضح بتاريخ حضارتنا العتيقة/الرائدة، في مظاهرها المختلفة: أخبارها، رواياتها، إرثها اللغوي الخ... ولجهلهم هذا أيضاً، أسباب ودوافع شتى: منها الموضوعي والذاتي، لا مجال لعرضها في عجالتنا هذه... ويدهشنا حقاً (ابن منظور، ١٢٣٢-١٣١١م) في "لسانه"، شارحاً مادة "كنع": "... وكنعان بن سام بن نوح، إليه يُنسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية....".

وكما قالوا: "النادر لاحكم له...." وعلى أي حال، ألا يبدو عالمنا ابن منظور أكثر حداثة، وحضوراً من الدكتور (لويس عوض) في قوله: "فالعرب إذن أمة حديثة نسبياً إذا قيسَتْ بما جاورها من الأمم. ونحن عادة نؤرخ للحضارات ببداية عصر التدوين واستعمل (هكذا) والصحيح استعمال) الأبجدية وبهذا المقياس يجب أن نبدأ تاريخ الحضارة العربية الشمالية والحضارة العربية في وسط شبه الجزيرة بما فيها الحجاز ببداية القرن الثاني (ق.م). أي بنحو ثمانمائة سنة قبل ظهور الإسلام. أما تاريخ الحضارة العربية الجنوبية (أي سبأ ومعين وقتبان). فيبدأ نحو ٨٠٠ ق.م... وأقدم نص عربي معروف ينتمي إلى عام ٣٢٨م (وهو النقش الذي ذكرناه

(١٦) كتلة بر كانية بارتفاع (٥١٥٦ م)، تقع شرقي تركيا على الحدود بينها وبين إيران وجمهورية أرمينية.

أعلاه م.م). وهو شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو...."(12).

نحن لا نتنكر لأراء واجتهادات المرحوم لويس عوض، في العديد من مؤلفاته التي تناولت شتى جوانب المعرفة... رغم شعورنا بالغربة عنه في سنوات حياته الأخيرة، بما جاء في بعض مؤلفاته، وهاهو كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية)، خير شاهد على ذلك. نحن مع حرية الفكر، والعلم أخذ وعطاء؛ وليس بعقيدة.. وهذا أمرٌ لا جدال فيه.... ولكن كم كانت حيرتنا بالغة ودهشتنا كبيرة، بعد الانتهاء من مطالعة كتابه هذا. نحن لسنا بصدد دراسة نقدية للكتاب الحاي ومحتواه، ولما كان الدكتور عوض يقتلع اللغة العربية وأهلها من محيط الوطن العربي، ليلقيهم في أحضان العالم القفقاسي/ الهندو-أوروبي، فلا بأس من لفت الانتباه إلى مايلي:

١- قلما نجد مصدراً أو مرجعاً أجنبياً للاجتهادات والمسلمات الاشتقاقية المقارنة، مع العلم بأن المؤلف يبحث في أصول اللغة العربية وأهلها، لينتهي به الأمر إلى ربط مصيرهم بالعالم القفقاسي/ الهندو-أوروبي. (من الفصل السادس وحتى الثاني عشر، ص.ص. ٢٢٩-٤٥٩).

٢- ماندر ذكره من مراجع تاريخية في الهوامش، ولاسيما في الصفحات (٢٨-٤٢-٤٥-٤٨-١٢٦) قديم وبال، ويعود بأغلبيته لعام ١٩٥٠، أو قبل ذلك، ولا يؤخذ به حالياً في الأوساط العلمية، وبخاصة بعد المكتشفات الأثرية والدراسات التاريخية/ اللغوية المقارنة، في العقود الثلاثة الأخيرة.

واليكم بعض ماجاء في سفرنا "العجيب" إضافةً للمقطع المذكور أعلاه:

(في الصفحة ٤٠): "وقد انتهيت من أبحاثي في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية- الأوروبية".

(في الصفحة ٥١): "فالعرب إذن موجة متأخرة جداً من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز (القفقاس م.م) والمنطقة المحيطة ببحر قزوين (بحر الخزر م.م) والبحر الأسود نحو ١٠٠٠ ق.م أو قبيل ذلك... فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية".

(في الصفحة ٥٨): ".... فهذا التبويب وهذه المواجهة هما الخطوطان الأوليان نحو أية دراسة علمية لنشأة القبائل العربية وتطورها منذ انبثقت من مهدها القوقازي الأول حتى توحدت تحت لواء قريش....".

(في الصفحة ١١٨): ".... وكل مسح اثنولوجي (سلالي م.م) لمصر والمصريين الناطقين بالعربية يوضح أنهم ينتمون أساساً إلى مجموعات اثنولوجية (سلالية) مختلفة عن المجموعة العربية، بالإضافة إلى اختلافهم السلالي عن العرب".

(في الصفحة ١٣٦): "وهذا هو الافتراض الكبير الذي أسست عليه كتابي هذا، ألا وهو أن المجموعة السامية ونموذجها اللغة العربية، والمجموعة الحامية، ونموذجها اللغة المصرية القديمة، ليستا مجموعتين مستقلتين بذاتهما، وإنما هما فرعان أساسيان في تلك الشجرة السامية التي خرجت منها المجموعة الهندية الأوروبية".

هذا غيضٌ من فيض الكتاب "العتيب"... إنه وسواس "المركزية الأوروبية" الذي أصاب خلب الدكتور عوض في بعض مؤلفاته، في عداها هذا الكتاب: وقد عهدنا بعضه فيما مضى، في كتاب طه حسين

## مستقبل الثقافة في مصر.

نقول: للخروج من المأزق الذي وقع -بل أوقع بعضنا- فيه لويس عوض، وكثيرون غيره، نرى أنه من المفيد استجلاء بعض غوامض المسألة:

١- هل كانت "العربية الفصحى" التي أدركناها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، هي نفس لغة أسلافنا "العرب" الأولين، أولئك الذين راح ذكرهم يتردد في وثائقنا القديمة - ولاسيما الآشورية منها- (ملكات العرب، جنديبو العربي الخ...) اعتباراً من القرن التاسع (ق.م)، علماً أننا نجد تلميحاً إليهم في نقش أكدي/ بابلي أكثر قدماً. وما هنا تعترض سبيلنا نظرية: "أزلية" اللغة العربية، التي أثارت الجدل الأكبر في العصر العباسي، لينعكس ذلك كله في مواقف فلاسفة المعتزلة وأرائهم من جهة، وعلماء الكلام واجتهاداتهم من جهة أخرى، حول قضية "خلق القرآن أو قدمه". ونقرّ هنا للدكتور لويس عوض بجميل دراسته لبعض جوانب المسألة، وتبسيطها بسهولة بارعة، ودون بساطة، في الفصل الثاني من كتابه (مشكلة اللغة العربية ونظرية اللوجوس)<sup>(١٧)</sup>.

٢- ونأتي الآن إلى النفثة الثانية، التي رأت في شمال شبه الجزيرة، مجال تطوّر ونضج "العربية الفصحى" وبلغ بعضهم في الأمر، بحصر ذلك المجال بالحجاز بل بعالم قریش على وجه التحديد، وببضعة قرون فقط، بل قبل فجر الإسلام.

أما أن تكون العربية الفصحى، هي نفس لغة أسلافنا الأقدمين، في بعض بقاع وطننا العربي القديم، قبل الإسلام بعشرات القرون، كما يظن أصحاب الفريق الأول، فهو زعمٌ مغاير لمنطق التطور التاريخي/ الاجتماعي، وتدحضه أيضاً آلاف الوثائق والنصوص المكتشفة في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، وشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى النقوش القرطاجية/ الكنعانية<sup>(١٨)</sup>، في شمال إفريقية وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وأقرب اللهجات القديمة التي تبشّر بالعربية الفصحى هي الآرامية، التي راحت تعمّ الجزيرة السورية وباقي ربوع بلاد الشام (اعتباراً من القرن العاشر ق.م)، قبل أن تتغلب على شتى لهجات الهلال الخصيب، بعد سقوط نينوى والسلطان الآشوري (٦١٢ ق.م)، ولتصبح لغة دولية LINGUA FRANCA (والشهرة في المؤلفات العلمية الجامعية بالآرامية الامبراطورية -في العصر الفارسي الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)) ثم راح يتفرّع، منها لهجات مختلفة: المنداعية، لهجة التّرجوم<sup>(١٩)</sup>، النبطية - التدمرية، الآرامية اليهودية الفلسطينية، السريانية، الآرامية التلمودية، الخ. (13)

وهاهو نص آرامي، من القرن الثامن (ق.م) عُثِر عليه في زنجرلي (شمال)، مملكة آرامية تقع في ربوع سورية أصلاً ولكنها حالياً في البقاع المتاخمة للحدود السورية الشمالية الدولية - بعد سايكس بيكو

<sup>(١٧)</sup> كلمة يونانية (LOGOS)، بمعنى "العقل الأول"، "كلمة الله" وهو الأتوم الثاني في الثالوث الأقدس المسيحي، إلى غير ذلك من إغاعي الفلسفة الأخرى.

<sup>(١٨)</sup> أطلق عليها البعض اسم الفينيقة/ البونية وهي تسمية يونانية/لاتينية وفضل التسمية الكنعانية؛ التي ظلت شائعة حتى عصر أنتدس أوغسطس (٣٥٤-٤٣)، أمقف عنابة الجزائرية.

<sup>(١٩)</sup> التفسير الآرامي لبعض كتب التوراة، بدءاً من القرن الخامس (ق.م)، عندما راحت الآرامية تزاحم لغات المنطقة لتغلب فيها بعد.

وسلخ لواء اسكندرون، وهامو بعض ماجاء في النقش مع الترجمة العربية:

النص الآرامي:	انه	بر	ركب	بر	فتمو
الترجمة العربية:	أنا	ابن	ركب	ابن	فتمو
ملك	شمال	عبد	تجلتفليس	مرا	ربعي
ملك	شمال	عبد	تجلتفليس	سيد	الأربع
أرقا (وأحياناً أرا وأرصا)			بصدق	أبي	وبصدق
الأرض (جهات الأرض الأربع)			بصدق	أبي	وبصدق
هوشبني	مراي	ركبايل	ومراي	تجلتفليس	
أجلسني	سيدي	ركب	إيل	وسيدي	تجلتفليس
على كرسا (وأحياناً كسا)		أبي.. أنه	بنيت	بيتا	زنه
على	عرش	أبي أنا	بنيت	البيت	هذا.

كما ذكرنا، تاريخ هذا النص هو القرن الثامن (ق.م)، أي قبل عريبيتنا الفصحى بنحو أربعة عشر قرناً، ومع ذلك لا يخلو من مشابهات لعريبيتنا -إن كان في مفرداته أو في سياق جملته- وإليك بعض الشواهد:

- أنه (وأحياناً أنا) ضمير رفع منفصل، متكلم مفرد.
- بر (ابن) ولدينا في العربية فعل (بر بمعنى أطاع). والابن البرّ والبار. (المطيع لوالده والمحسن إليه).
- ملك، عبد (بمعنى تابع).
- مار (السيد) ولدينا أيضاً جذر (مر، أمر) وإضافة لمعانيه الأصلية، نقول: الميرة: قوة الخلق وشدته، أصالة العقل، ورجل مريد: قوي ذو عزم، والمريرة: عزة النفس الخ... وفي العامية (من السريانية) مار جرجس، مار الياس الخ.. بمعنى (قديس، سيد).. ألا تتضمن مختلف هذه المدلولات معاني ذات صلة، قريبة أو بعيدة، بالكلمة الأصلية (مار/ السيد).
- ملك، شمال (دولة الشمال)، بصدق أبي وبصدق، عل (على)، كرسا (نقول كرسي العرش)، أنه (أنا) بنيت (الضمير المتصل التاء يأتي ساكناً في المتكلم المفرد، مؤنثاً ومذكراً)، وفي المخاطب المفرد المذكر نقول (بنيتّه أو بنيت) وفي المخاطب المفرد المؤنث نقول (بنيتي، بالياء)، ولدينا الكسرة عوضاً عن الياء... الخ.

ألا يدهشنا هذا التقارب بين نصنا هذا وعريبيتنا الفصحى. ولنأخذ مثلاً جملة (أنه بنيت بيتاً زنه = أنا بنيت البيت هذا)، والألف في (بيتاً) هي أل التعريف في الآرامية القديمة وانقلبت إلى (واو) في بعض اللهجات السريانية الغربية، وجميع الأسماء التي تنتهي بألف تدلّ عادة على اسم معرفة، منها بعض مانسمعه في بلادنا: (دوما، حرسا، فالوغا، حمانا، جسر، تورا، بتيلا، عقربا، مسرابا) الخ... وهي جميعها أسماء مفردة، ونلاحظ أن العرب المسلمين بعريبتهم الفصحى، تركوها على ماكانت عليه، فلم يقولوا: الدوما، الحرسا، الفالوغا، الحمانا، الخ...

ولنأخذ نصاً أحدث من الأول، من (سفر دانيال) التوراتي، ويرجع إلى أواسط القرن الثاني ق.م، وليس

إلى أيام السبي البابلي (القرن السادس ق.م)، كما ظنّ بعضهم سابقاً.

النص الآرامي: نبوكد نصر ملكاً عبّذ صلّم أقيميه  
الترجمة العربية: نبوخذ نصر الملك صنع تمثال أ أقامه

ببقعة دورا بمدينة بابل

ببقعة (في) دورا بأقاليم بابل

-عبّذ: إضافة لمعناه الآرامي الأصلي (صنّع، عمّل) اكتسب لاحقاً مدلولات أخرى ومنها: (عبّذ، تابع، خادم)، كما أدركناها فيما بعد.

-صلّم (صنم، تمثال)، وفي العربية: صلّم وصلّم الشيء، قطعه من أصله، وكان الصلّم الحجري مقطوع من الصخر.

- أقيميه (أقامه)، ببقة (في بقعة، جمعها بقاع).

- بمدينة: في إقليم. وتفيد أيضاً في عربيتنا: المصر الجامع.

وعندما نقول (مكة: أم القرى) فنعني: أم المدائن، والقرية، هي المدينة بمعناها الشائع فيما بعد إن كان في الآرامية القُدُمى أو في العربية لاحقاً، وهذا جلي واضح في القرآن الكريم. أما القرية كما نفهمها حالياً فهي (كُفْر)، إن كان في الآرامية أو في عربيتنا الفصحى.

وجذر (كُفْر) الكنعاني، و"كُفْر" الآرامي يفيد أصلاً معنى (سَتَرَ، غطّى المعاصي والذنوب) ثم اكتسب مدلولات أخرى (غطّى الأرض بالنبات) ومن هنا (كُفْرًا = القرية) بالآرامية. وكذلك في عربيتنا، فإضافة لمعناه الأصلي، اكتسب مدلولات جديدة وإلا فكيف نفسّر ما جاء في القرآن الكريم (سورة الحديد، ٢٠): "واعلموا إنما الحياة الدنيا لَعِبٌ ولهُوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".

فالكُفَر هنا كما جاء في التفسير هم الزُرّاع، وقد ذكرت معاجمنا القديمة في مادة (كُفَر) هذا المعنى وغيره من المعاني (ابن منظور، الفيروز آبادي الخ....) فالكافر أيضاً هو الرجل الذي ستر جسده بالدرع والسلاح كالكافر (الزارع) الذي يغطّي ويستتر البذور والحبوب بتراب الأرض الخ....

وإذا عرضنا للكتابات النبطية والتدمرية، قبل نهاية القرن الثالث م، التي سبقت تلك النقوش التي لمحتنا إليها أعلاه: (أم الجمال، النمارة الخ...)، وهي النقوش التي عُثِرَ عليها في شمال شبه الجزيرة العربية وفلسطين والأردن وسيناء وتوابعها وغيرها من أطراف بلاد الشام وباديّتها، لاحظنا ازدياد أوجه الشبه بين شتى لهجاتها وبين عربية الشعر الجاهلي وصدر الإسلام.

لقد حسب البعض لهجات النقوش والكتابات التدمرية والنبطية آرامية صرفة ويقلم آرامي، بينما اعتبرها آخرون وبحق، تراكيب آرامية/ عربية، وبخط آرامي: تدمري أو نبطي، قد يتساءل بعضهم عن سبب مثابرتنا على مقارنة لهجات نصوص آرامية ببعض مانجده في لساننا العربي!... إنه لإستفسار وجيه ومشروع.

كما ذكرنا سالفاً، أضحت "الآرامية الإمبراطورية" اللغة السائدة في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم، في العصر الفارسي/ الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)، بعد تغلبها على ماسبقها من لهجات شقيقة: اكدية / بابلية/ آشورية وكنعانية بل ومصرية، وذلك لأسباب عديدة، منها سهولة طريقة كتابتهم (المقتبسة أصلاً من أبجدية الساحل الكنعاني)، قبل أن يطوّر الآراميون فيما بعد، قلماً خاصاً بهم، كما سنرى لاحقاً، في الجزء الثاني من دراستنا الخاص بالكتابة، ويبدو دور الدويلات الآرامية ضئيلاً محدوداً في المجالين العسكري والسياسي، بالمقارنة مع سلطان الدول والإمبراطوريات العظمى، التي احتلت مركز الصدارة في بلادنا، بوقائعها السياسية ومآثرها العسكرية من: اكدية/ بابلية/ آشورية ثم ميثانية وحثية ومقدونية الخ... ودون أن ننسى طبعاً عظمة الدولة المصرية ومشاهير فراعنتها... ومع ذلك، شاعت الأقدار أن يلعب الآراميون دوراً قومياً لا يُضاهى، في تاريخ أمتنا، قبل الفجر العربي-الإسلامي وتحرير البلاد من الاحتلال الفارسي/ البيزنطي.. لقد صمدت الآرامية أمام لغات الدخلاء من فرس وأغريق ورومان فبيزنطيين، وصانت الوحدة اللغوية لوطننا العربي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً (من سقوط السلطان البابلي الحديث/ الكلداني عام ٥٣٩ ق.م وحتى عصر الفتوحات العربية الكبرى)... ولنا عودة إلى الإرث الثقافي هذا، في حديثنا عن الكتابة... مهدت الآرامية السبيل لعروبتنا الفصحى، شقيقتها والقريبة منها، كما لاحظنا من لهجة بعض فقرات آرامية قديمة، واللغة كظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بشتى الأسباب والعوامل، وتخضع لغيرها لسنة التطور، وعندما نجد لغة ما، تجابه غيرها من اللغات وتتغلب عليها، يجدر بنا حينئذ أن ننقصى الأمر للكشف عن الأسباب (سياسية، اقتصادية، دينية، اجتماعية، الخ...)، التي هيأت لها سبيل الرسوخ والغلبة.

وكما أن الآرامية تغلبت على ماسبقها من إرث لغوي محلي -مثلما أسلفناه- وصمدت في وجه لغات الدخلاء، كذلك جاء دور العربية الفصحى، لتحل تدريجياً وتلقائياً محل شتى اللهجات الآرامية، دون صراع ومن غير أن تقضي عليها كلياً، واستغرقت تلك العملية وقتاً أطول مما يظنه البعض. وما اللهجات العامية - في مختلف ربوع وطننا العربي، بأصواتها المتنوعة ومفرداتها- ولا سيما في الأرياف- تلك المفردات التي لا نجد أثراً لها في معاجمنا العربية إضافة لعدد من أسماء المدن والبلدات والقرى والمواقع، ليس هذا كله، إلا رجع أصداء آراميتنا تلك أو شقيقتها الكنعانية وغيرها من لهجات أسلافنا الأقدمين. وكما أن الآرامية استوعبت ماسبقها من لهجات واغتنت بمفرداتها، محققة بذلك طفرة نوعية، مهدت لها سبيل النصر عليها، مؤالنا السالف: متى وكيف وأين تحققت "الطفرة النوعية" لعروبتنا الفصحى، وهل حصل ذلك محصوراً بزمان محدود ومكان معين، كما نادى بذلك أولئك الذين قَصَرُوا العملية، على محيط قريش وعلى فترة زمنية قصيرة، لا تزيد على بضعة قرون، قبل فجر الإسلام مخالفين بذلك مذهب "الأزليين" الذين يَشْتَرُوا، بمعتقد (قَدَمُ القرآن/ اللوح المحفوظ/ قَدَمُ اللغة العربية).

لا حاجة بنا إلى القول أنه يصعب علينا قبول مذهب "الأزليين" الذين جعلوا آدم يتكلم العربية في الجنة، بل نسبوا إليه شعراً حفظته العرب!!... وللمعري في "رسالة الغفران" أقوال وأقاويل في معرض ذلك.

أما نحن، فحسبنا أن نقول لهؤلاء... "والله أعلم"...

أما بالنسبة لأنصار الفريق الآخر "القرشي" فنرى أن فرضيتهم جديرة بالاهتمام، على أن يظل عالماً بالذهن جميع ما أوردناه أعلاه، لندخل عليها التعديلات الضرورية التي تقتضيها حركة التاريخ الصاعدة، وحتمية عملية التطور الاجتماعي/ اللغوي، ودون أن تغيب عن بالنا حصيلة الدراسات المقارنة المعاصرة



الخاصة بعلوم اللغة والكتابة والأنساب والآثار والتاريخ الاقتصادي والانثروبولوجية (الأناسة) الخ... جاء في الروايات<sup>(١)</sup> أن العربية الفصحى لم تؤخذ إلا من قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم... وعن هؤلاء نقل علماء اللغة وبهم اقتدوا وعليهم اتكّلوا في الغريب وفي الإعراب والتصريف، وبالجملّة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، (خوفاً من الدخيل م.م). ولا عن سكان البراري، من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الذين حولهم، ولذلك لم يؤخذ من لخم لمجاورتهم الفرس، ولا من جذام لمجاورتهم الأنباط وقبط مصر ولا من قضاة وغسان لمجاورتهم أهل الشام ولا من تغلب، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للروم والفرس، ولا من عبد القيس وأزد غمان، لأنهم كانوا مخالطين للبحرين المتأثرة بالهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من تقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز (يثرب ١٩)، لأن الذين نقلوا العربية صادفهم حين راحوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

وجاء في الأخبار أيضاً، أنه كان على العرب أن يحتدوا موقفهم من قريش بوضوح، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وسموها (أهل الله)، فرأوا أن قريشاً "كانت مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى سلاتهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب..." (١٤).

ألا ترى أن ماجيء به في روايات كهذه، فيه كثير من التكلّف ولا يعدو أن يكون وهماً.. ليس إلا.. وعلى كل، فهذا ليس همنا وأصل موضوعنا، ونترك الأمر لأهله من الباحثين في فقه اللغة العربية وغيرهم من علماء اللغة، ولكن لابدّ لنا من القول إن الآراء والاجتهادات قد تغيّرت وتشتّبت فيما يخصّ مظانّ كهذه، لتعكس المواقف والصراعات السياسية التي أطلّت برأسها منذ "الفتنة الكبرى"، ولتتطور إلى شيع وأحزاب في العهدين الأموي والعباسي الأول، ثم إلى نشوء مذاهب ومدارس فكرية وفقهية مختلفة، عكست بشكل أو بآخر، ذلك الصراع السافر بين أنصار السيادة العربية من جهة، ودعاة مذهب المساواة في الإسلام من جهة أخرى، اعتماداً على ماجيء في التنزيل الحكيم: "يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم..." ويضيف هؤلاء أيضاً، أن القرآن الكريم لم يذكر اسم قريش إلا مرة واحدة، فيردّ عليهم أولئك بما جاء في الآيات "العربية": "... لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الشعراء/١٩٥؛ "وهذا لسان عربي مبين، النحل/١٠٣؛ "وإنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، يوسف/٢".

"وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد، طه/١١٣".

"وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً، الزخرف/٣" وإلى غير ذلك من الآيات التي تشهر عروبة الخطاب القرآني، وبذلك الآيات، "العربية" يردّ أيضاً غير القرشيين من العرب على أنصار "المدرسة القرشية".

ألا يمكن تلخيص الموضوع بالقول، إن من ظن أن العربية الفصحى هي لهجة قريش، قد تأثر من كون النبي من قريش وأن الوحي قد تجلّى في وسطهم، فهو إذن بلسانهم.. ولكن لو كان الأمر كذلك، لجاء التنزيل الحكيم بذلك صراحة، ولما رأينا ذكر "عروبة" القرآن غير مرّة، دون أن يأتي على "قرشيتة" ولو مرة واحدة،

(١) نقلاً عن (المزهر للسبوطي) مع بعض التصحيح الجغرافي (م.م).







لحظنا سابقاً- كلا! فالأمر أكثر تعقيداً وشمولاً: ولا يمكننا أن نغفل عن دور اليمن والهجرات القحطانية الأثرية (كندة، المناذرة، الغساسنة الخ...) ولا عن لهجاتها القديمة، البائدة منها والباقية.. وهذا العالم الآرامي، في بلاد الشام والعراق بل وفي وادي النيل، الذي أفضنا في تفاصيله، بإرثه اللغوي العظيم، هل نخرجه من محيطنا الجغرافي/ اللغوي، حيث نشأت مختلف لهجات أسلافنا القدامى، منذ الأزل: من أكديّة/بابلية/ آشورية إلى كنعانية وسبئية وحمرية وغيرها، لتصب فيما بعد في هذا الخزان الأعظم... وها هنا نقول: إن كل دراسة تعالج فقه لغتنا العربية وتطورها، تظل ناقصة مادامت تهمل بعض عوامل نشوئها وأركان ازدهارها على مرّ السنين والأيام، ومادامت تقلص مجال تفاعلها الجغرافي لتحصره في بقاع محدودة في قلب الجزيرة العربية.

وهذا هو مقتل علمائنا اللغويين، السابقين منهم واللاحقين/ المحدثين... فنظرة خاطفة لمفردات معاجمنا الكنعانية والآرامية التي ورثتها، كافية لإدراك مغزى قولنا.. يزعم البعض أننا الورثاء الشرعيون لتلك الحضارات القديمة، وهذا صحيح؛ ويضيف فريق آخر أن أجدادنا العرب المسلمين لم يغزوا بلاداً غربية عنهم -في عصر الفتوحات الكبرى- بل حرّروها من نير الاحتلال الفارسي البيزنطي، وهذا أيضاً أمر لا غبار عليه، ويتفاخر آخرون برسالة الإسلام السمحة وبشعار "لا إكراه في الدين" وهذه فكرة صائبة.. نعم كل هذا صحيح.. ولكن ألا يترتب على كل ذلك بعض النتائج والمواقف المغايرة لتلك التي أقرّها واتخذها بعض علمائنا السابقين، وما زال بعض اللاحقين/ المحدثين يسيرون على هديهم.. وإن كان لشيوختنا القدامى عذرهم، ألا وهو جهلهم، إرثنا اللغوي العتيق.. وعدم تمكنهم من معرفة تاريخ أسلافنا الأوائل، لأسباب ذاتية وموضوعية، مما أوقعهم في الفخ، وأحالهم إلى ضحية سهلة لأوهام "الإسرائيليات"، إن كان هذا الأمر مفهوماً بل ومنطقيّاً بالنسبة للسابقين، فكيف نعلل المواقف الجامدة/ الخاملة لبعض أساتذة اللغة العربية وباحثيها اللغويين؟! وبم نبرّر إجحامهم عن ولوج عالم الدراسات اللغوية المقارنة، ولا سيما بعد اكتشاف هذا الكمّ العظيم -المتزايد من يوم لآخر- من كتاباتنا القديمة، بلهجاتها المتنوعة والقريبة. بشكل أو بآخر، بعضها من بعض، والشائعة حينذاك في مختلف ربوع الهلال الخصيب، والتي رفدت لهجتنا الآرامية في طورها الأول (من القرن التاسع وحتى الرابع ق.م) فأغنتها وأعلت شأنها، بعد اندماجها فيها، فأضحت -كما أسلفناه- هذا الدرع الواقي، الذي صان تراثنا اللغوي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً، لتعهد إلى شقيقتها العربية به فيما بعد.. نكرر تساؤلنا عن أسباب ودوافع هذا الإهمال أو بالأحرى الاستخفاف بآرثنا/ الكنز اللغوي القديم؟!.. أهو عدم إلمام البعض بتلك اللغات العتيقة؟!.. أم التقاعس عن اقتحام مجاهل تاريخنا الأقدم؟!.. أم اعتزازهم بلغتنا العربية الفصحى وشعورهم بالاكتماء الذاتي وبما أورثنا إياه أجدادنا العرب الصرحاء من ديوان؟!.. قد يكون لجميع هذه العوامل والدوافع نصيبٌ من الصحة.. ولكن بعد هذا وذاك.. ما هو نصيب طيف المترجم الذي يلوح في أفقنا، الفينة بعد الفينة؟!..

يلاحظ خريجو جامعات قطرنا، من أساتذة لغة عربية وتاريخ، هذه القرابة بين عريبتنا الفصحى وسائر لهجاتنا القديمة، إذ أنهم اطلعوا على بعض قواعدها وتكررت لديهم فكرة عامة عنها- لأن المنهج يقضي أن يدرسوا إحداهما- ولذلك يدركون أكثر من غيرهم مغزى قولنا وأسباب إصرارنا على إلقاء الأضواء على مسألة القرابة تلك، -وكما قلنا- فنظرة خاطفة على معاجم تلك اللهجات- وعلى الخصوص الكنعانية والآرامية- لخبر شاهد على ذلك.. ومن هو أجدد منا يعرض هذا الموضوع، ونحن أصحاب هذا التراث الأثري... ألقينا المسؤولية على كاهل الآخرين: فمنهم من أدّى المهمة بأمانة، كما أن البعض الآخر أساء. وكما قيل: "ما حكّ جلدك مثل ظفرك".

كفانا تقاعساً وتزمتاً... فلقد أوزننا الأجداد "لساناً عربياً مبيناً" لن ندرك إعجازه في النثر والشعر، إلا بالموازنة بينه وبين نظرائه في لغات أجنبية أخرى، وهل من جاهل أحقق ينكر ذلك ويماري فيه؟! إذن فعربيتنا بخير ولكنها ليست على أحسن ما يُرام، لاسيما في أسلوب دراستها وتدريسها، وإليك شهادة أحد أساتذتها، وسميناه (الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال)، في قاموسه "معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والاصول العربية"، حيث يقول: "من أهم المشاكل التربوية التي تصادفنا، أن يعيش أبناؤنا بين لغتين إحداهما خاصة بالمنزل والأخرى خاصة بالمدرسة، وأن نقول إن كلا منهما تختلف عن الأخرى، مع أن هذا الاختلاف لا وجود له أصلاً في إحداهما، وإنما هو وهم نسجه الزمن بسبب قصور الإدراك، وزاد في أثره تقصير المشتغلين بأمر اللغة العربية ووقوفهم عند حد القول بعامية لفظ وفصاحة آخر، لمجرد الكلام دون اعتماد على بحث لغوي سليم..." (21).

ويضيف قائلاً: "ونحن إذا ما تتبعنا لغة التخاطب الآن لنعلم نسبتها من العربية وجدناها نفس العربية، ولكن طراً عليها التحريف... ومما لاشك فيه أن الكثرة الكبرى من الألفاظ العامية، إما عربية قرشية صحيحة، وإما محرفة عنها تحريفاً قليلاً، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش أو محرفة عنها تحريفاً قليلاً..." (22).

ويقول أيضاً: "لقد طال الكلام في اللغة العربية وشأنها، وتمادى الزمن بالناس وهم يبدنون ويعيدون في عزلة العزبية وقصورها، وضرورة رد الحياة إليها، وأهمية مسيرتها لحاجات الأمم التي ورثتها، دون أن يبدو لذلك كله أثرٌ يُذكر أو يتناسب مع السنين الطوال التي مضت على هذا الحديث الأجوف....." (23).

وبصدد سلامة النطق يقول: "ومن أهم الأمور اللازمة لدراسة اللهجات العربية الحديثة كتابتها علمية يسائر رسمها النطق الصحيح لهذه اللهجات في أقاليمها المختلفة، وفي مآكن بالعرض الذي يتوخاه علم الاصوات في العصر الحديث.

"والكتابة العربية بحالتها الراهنة قاصرة عن تصوير النطق الصحيح للهجات العربية الحديثة، لأن في هذه اللهجات سواكن وحركات لا يوجد لها في كتابتنا العربية نظير من الحروف ولا من علامات الشكل" (24).

وأيضاً: "في الكتابة العربية حتى الآن ثلاث علامات لثلاث حركات، هي الفتحة والضمة والكسرة، وهي غير كافية لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة، ولذلك أضفت إليها خمس علامات مبتكرة..." (25).

نرى، تلخيصاً لما جاء في القسم الأول من دراستنا، أن نبرز أركان البحث التالية:

أولاً: التشابه الكبير بين مختلف لهجات أسلافنا القدامى، إن كان في بلاد الهلال الخصيب أو في الحوض الأدنى لنهر النيل أو في شبه الجزيرة العربية.

ثانياً: يمكن اعتبار اللهجات العتيقة: أكديّة/ بابليّة/ آشوريّة/ كنعانية، بمثابة العتبات الأولى في السلم اللغوي لوطنتنا العربي، ولا تشكل هذه اللهجات لغات قائمة بذاتها، لدرجة أن أمرها قد اختلط على العلماء الأجانب (المستشرقين)، فمثلاً بالنسبة للغات بلاد الرافدين: أكديّة/ بابليّة/ آشوريّة، نراهم يطلقون عليها في البدء اسم "الآشوريات" كما عهدناه سابقاً في جامعاتهم، ثم راحوا يقولون "الأكديات" وهي

التسمية الراجحة في أوساطهم حالياً، وفي الواقع، فلا هذه التسمية ولا تلك منطقية: إذ أن هذه التسميات لا تشير إلى عرق/ جنس محدد، بل تعود بنسبتها إلى مواقع أو مدن الخ... فالأكدية، نسبة إلى أكد، عاصمة الامبراطورية الأكدية والبابلية نسبة إلى بابل الخ..

ثالثاً: التسمية السامية التي أطلقها شلوتسر في نهاية القرن الثامن عشر غير منطقية ومخالفة لأبسط الحقائق العلمية، وتلحق الأذى بقضايانا القومية. فالتسمية توراثية ومضللة، وهدفها الترويج للغة "عبرية" قديمة. مع العلم أنه لا توجد لغة عبرية قديمة، كما يتوهم البعض، والتوراة ذاتها تقول "شفة كنعان" أو "لسان يهودي" نسبة إلى سبط يهوذا. والتوراثية ليست سوى خليط كنعاني/ آرامي كما هو معروف أكاديمياً. ولم تظهر تسمية "لغة عبرية" إلا بعد السيد المسيح. فمن ظن على يهوديته نطق "بالعبرية" ومن تنصّر تكلم بالأرامية/ السريانية، (كتب انجيل متى بالأرامية/ السريانية في حين كتبت الاناجيل الثلاثة الأخرى باليونانية). وعوضاً عن "السامية" - هذا الخطأ الشائع - من الأفضل أن نقول "العربيّات العتيقة" (26)، لأسباب وجيهة، كما سنوضحه لاحقاً.

رابعاً: عدم حصر مجال نشوء وتطور اللهجات العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، بل التوسيع من حدوده ليشمل عالم الهلال الخصيب ووادي النيل، حيث لعبت اللهجة الأرامية دورها الأكبر. في صيانة تراثنا اللغوي القديم، قبل البعثة النبوية، تلك الأرامية التي احتلت العتبات الوسطى في السلم اللغوي لوطننا العربي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً، من القرن السادس (ق.م) وحتى صدر الإسلام، قبل أن تحلّ العربية الفصحى محلها، بعد أن شغلت آنذاك أعلى عتبات ذلك "السلم اللغوي".

خامساً: - جاء التنزيل الحكيم بلسان "عربي مبين"، ولم يأت بلهجة قريش، كما زعم البعض في روايات لاحقة. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته لكتاب "هجرة القراءات" (27): "لم يكن كتبة الوحي الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يملئ عليهم كلما أوحى إليه شيء، من قبيلة واحدة، بل كانوا من قبائل عدة فيهم القرشي وغيره. وكان الناس - على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم - في سعة من أمرهم في قراءة القرآن: كل يقرؤه بلحن قومه.. واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في تعبير "الأحرف السبعة" الواردة في الحديث، وأريد بها التعدد والكثرة لا تحديد العدد سبعة" (28).

(26) قال البعض بـ "القراءات السبع" ولا ندري لماذا توقفت عند العدد (٧)، بينما جعلها فريق آخر أربع عشرة قراءة، فهل للعدد (٧) أضعافه سحر خاص. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مدخل (حجّة القراءات، ص ٥٠): "ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رواته عنه، ولكل راٍ طرق متعددة، وأنا مثبت لك تراجم موجزة لأعلام القراءة بأدباً بالقراء السبعة فيقبة العشرة فيقبة الأربعة عشر...". كما نلاحظ، (٧) قراءات وضعها، مع العلم بأن عدد القراءات قد يكون أكثر من ذلك، كما نرى من قوله: "ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رواته عنه، ولكل راٍ طرق متعددة...". والله أعلم... ألا يعني أن لكل قارئ أو راٍ لهجت.

والهم في الموضوع "قدسية" الرقم (٧) مع أضعافه. ففي الحقيقة، يتكرر ذكر الرقم (٧) منذ بدء التاريخ، ومن المؤكد أنه قديم بقديسه، ونستشف سحره في روايات ومعتقدات القدماء، من مختلف الاقوام والأمم فقالوا بـ:

لكواكب السيارة السبعة، السموات السبع، قدسيته، في قصة الخليفة وملحة جلجامش، طبقات أو أدوار الزقورة (ومنها برج بابل) سبعة. وتظهر قدسية العدد (٧) (سفر التكوين، الأصحاح السابع، ٢-٤) فيعد أن يأمر الرب نوحاً وجميع أهله بدخول الفلك يقول له: "وعد من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكورا وإناثاً ومن البهائم التي ليست طاهرة اثنين ذكراً وإناثاً، وخذ أيضاً من طير السماء سبعة سبعة ذكورا وإناثاً ليحيا نسلها على وجه الأرض، فإنني بعد سبعة أيام مطر على الأرض..." فكسا رأينا: (٧)

سادساً: لا نظن أن لهجة قریش قد استوعبت كلياً شتى اللهجات، إن كان داخل شبه جزيرة العرب أو خارجها، كما أنها لم تتمكن من محوها بصورة مطلقة، ومن هنا تعدد اللهجات وتوابعها حتى اليوم، في شتى أقطار الوطن العربي. وفي الحقيقة، لا تشكل "تشويهاً" أو "انحطاطاً" للعربية كما يتوهم البعض، بل هي أسنة أصيلة لقبائل عربية، كما رأينا في حديثنا عن اللهجات (معجم الألفاظ العامية...) ودليلنا على ذلك، تعدد القراءات (٧-١٤ الخ...)، منذ القدم، إذن فعربيتنا الفصحى، التي أدرناها قبيل الإسلام وبعده، والتي تطورت وازدهرت، في العصرين الأموي والعباسي، لا تعكس فقط لسان قریش.

سابعاً: الصحيح والأقرب إلى منطق التطور الاجتماعي/ اللغوي أن نهجر التسمية "السامية" ونقول "بالعربيات العتيقة" فالعربية الفصحى. وكمن لغة ذاتية الصيت ولا يتوافر لها ما كان للعربية، من ديمومة زمنية واستمرار مكاني، ومع ذلك لم يحجموا عما نقترحه، أما اللهجات العربية العتيقة، فنعني بها لهجات الهلال الخصيب، حتى مطلع الألف الأول (ق.م). بالإضافة إلى اللهجات البائدة لشبه الجزيرة العربية. ونقصد بالعتيقة: الأرامية الأولى (ثم لهجاتها المختلفة بعد القرن الثاني ق.م). مع لهجات اليمن (٨٠٠ ق.م - ٥٠٠ م) في جنوب شبه الجزيرة العربية واللهجات الليحانية والثمودية والصفانية، في وسط وشمال شبه الجزيرة وحتى جنوبي بلاد الشام (٥٠٠ ق.م - ٣٥٠ م) ثم العربية الحجازية الصريحة، من الشعر الجاهلي فما بعد.

للحيوانات الطاهرة (٢) لغير الطاهرة، والأسبوع سبعة أيام وأعرها مقلدس. ويظهر العدد (٧) من جديد في قصة يوسف "سبع بقرات سمان وسبع بقرات عفاف، سبع سنابل دقاق الخ.. وكان لمدينة بابل (٧) أبواب. وقال الآشوريون (٧) أسوار تحيط العالم الآخر.

وقيل إن (زرداشت) رأى سبع رؤى أثناء عزله، قبل أن يعلن رسالته. ومن تعاليم (ماني) لأتباعه في فارس الصيام (٧) أيام في كل شهر. وعند اليونان: (٧) حكام، (٧) عجائب العالم. وحكم روما (١٩.٧) ملوك (انظر كتابنا: تاريخ الرومان/ ١، ١٩٧٤، ص ١٧٨). ركن من مرة يزود العدد (٧) في الأناجيل وكذلك في القرآن الكريم. ومن أعياد العرب قبل الإسلام أن قبيلة (عباد) أهليكت في "سبع" ليال... والمعلقات الشهيرة (٧) وعند العرب أيضاً: "الحمل" "السباعي"، وبيت الشيخ "السويح". ومن مناسك الحج: الطواف (٧) مرات حول الكعبة وتظهر قدسية العدد (٧) عند بعض الفرق والمذاهب في الإسلام: عند إسوان الصفا وعند الإسماعيليين (التوقف عند الإمام السابع اسماعيل). ومراتب التصوف هي (٧): التوبة، الودع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل، الرضا (سراج الطوسي، الجمع في التصوف). وقال أبو تمام في رده على المتحمين:

والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الحمسين لا في السبعة الشهب

والأقاليم للمعمورة في معصوات الجغرافيين الغرب هي سبعة وكذلك الرحلات "السبع الشهيرة" للسندباد، وهل من تفسير لقدسية هذا العدد وغيره من الأعداد، كالعدد (٣) والعدد (٥) الخ... ويرمز العدد (٣) إلى تفاسير عدة: الحياة/ الموت/ البحث/ النساء/ الأرض/ الإنسان الخ... أما العدد (٥)، فنلاحظ سحره منذ عشرات آلاف السنين، في المغاور والكهوف أو بالأحرى في رسوم جدرانها، حيث نشاهد حيوانات تلك العصور، علوة الإنسان وفريسته، وقد أحيطت بأيدٍ بشرية، وكأنها تحاول القبض على الحيوان. أم يقولوا افترق الإنسان عن الحيوان بعقل يده، الذي تفاعل جديلاً مع دماغه، وبذلك كان تطوره وارتقاه، وهكذا اكتسبت اليد تلك القدرة السحرية: ومازلنا نلصق آثارها ورموزها في مآثرنا الشعبي: "خمس يمين العدو، وشكل اليد المغنوسة في دم الفصحى على باب مسكن جديد، وهذه اليد وفي وسطها "عين الحسود" يمزقها سهم، الخ... أما بالنسبة للعدد (٧) وقدسيتها الغريبة باتشارها ودموعتها، فترى أنها ترمز إلى اليد السحرية (٥) يضاف إليها الرقم (٢)، كرمز للحياة/ الموت أو النساء/ الأرض أو الذكر/ الأنثى الخ... هذا احتياط ليس إلا... والله أعلم....



قد يستغرب البعض اقتراحنا الجديد هذا، وعلى كل فـ "الجديد غريب". أما بالنسبة لنا، فليس بجديد ولا غريب، فمنذ نحو ربع قرن، قلنا في المقدمة التاريخية لكتابنا (المدخل إلى اللغة الآرامية) منذ عام ١٩٧٠، إن التسمية "السامية" خاطئة وعلى "الباحثين وذوي الاختصاص العرب أن يطرحوا الموضوع على بساط البحث ويتداولوا الآراء، ليخلصوا إلى تسمية أخرى أقرب إلى منطق الأمور، الخ..." وها نحن مانزال نتنظر....

## ب- الكتابة:

### ١- من الصورة إلى المقطع الصوتي:

تعتبر الكتابة العربية حصيلة تطورٍ مديد ومستمر، انطلاقاً من الكتابة المسمارية المقطعية الرافدية<sup>(\*)</sup> (نحو ٣٥٠٠ ق.م) والهيروغليفية المصرية<sup>(\*\*)</sup> التي ظهرت مع المسمارية، في منتصف الألف الرابع (ق.م) ومروراً بالكتابة المسمارية الأبجدية<sup>(\*\*\*)</sup>، في دولة أجرت (رأس شمرة شمالي اللاذقية، وقالوا أيضاً أوغاريت). نحو (١٥٠٠ ق.م)، فانتهاً بالأبجدية الكنعانية المتطورة (التي أطلق عليها الإغريق اسم "الفينيقية")، حوالي القرن الحادي عشر (ق.م).

وعندما أفلح الكنعانيون "الفينيقيون" في تجريد الصور الهيروغليفية المصرية والمقاطع المسمارية الرافدية وأبدعوا رموزاً، كلٌ منها يمثل "وحدة صوتية" أي حرفاً (فونم phonem)، تكون البشرية قد قطعت بذلك مرحلة، بالغة التعقيد، وبلغت شأواً عظيماً، كانت له نتائج حاسمة، مازال يُشار إليها بالبنان، نتائج عادت بالنفع الكبير والخير العميم على مختلف بني البشر، في مختلف أصقاعهم وأمصارهم<sup>(\*\*\*\*)</sup>

<sup>(\*)</sup> يرى العلماء المختصون أن أول من استخدم الكتابة في بلاد الرافدين هم السومريون وعندهم الأكاديون / البابليون فالآشوريون (انظر الجدول رقم ١) "شجرة السن الوطن العربي القديم"، (الرقم ١)، كانت الكتابة المسمارية في أول عهدها، كالهيرغليفية المصرية، صورية، أي أن كل صورة تمثل كلمة وتعني الشيء ذاته كصورة "بيت للبيت والشجرة للشجرة و الشمس للشمس الخ...."، وهذه المرحلة "الكتابة الصورية" ثم راحوا يستعملون هذه الأشكال للتعبير عن بعض المعاني، وهي الكتابة "الفكرية"، فمثلاً الشجرة إضافة لمعناها الأصلي أخذت تعني "الحياة والربيع والخلود الخ...." والشمس تعني الكوكب ثم راحت تعني "الضوء والحرارة والنهار، الخ...." وقالوا: "مسمارية" لأن أشكالها تطوّرت من الصور إلى رسوم مبسطة تشبه المسامير، بأشكالها المختلفة. ونقول أحياناً "اسفينية" ثم تطوّرت الأمر وأصبحت هذه الأشكال المبسطة تدل على أصوات معينة، على شكل مقاطع صوتية، أي أن الكلمة لا تكتب أبجدياً، كما نعرفها حالياً، بل على شكل مقاطع، ويمكننا أن نشبهها أحياناً، بما نجده حالياً في اللغات الصينية واليابانية والكورية الخ... وكان عدد المقاطع المسمارية في أول الأمر محدود (٧٠٠ مقطع) وقد تقلص تدريجياً ليصل في الآشورية الحديثة إلى (٧٥ مقطعاً) تقريباً.

<sup>(\*\*)</sup> ظلت الكتابة الهيروغليفية محافظة على شكلها الصوري، علماً أنه قد تفرّع عنها كتابة موازية مختزلة أكثر ليونة وهي "الهيراطيقية" (المقدسة) وأخرى شعبية وهي "الديموطيقية".

<sup>(\*\*\*)</sup> ضمت الكتابة المسمارية الأبجدية الأوغاريتية (جدول رقم ١، ١٥) (٢٩ حرفاً) وهي قريبة جداً من حروفنا العربية ولكن شكلها مسماري، أي أن الشكل لا يمثل مقطعاً، بل حرفاً قائماً بذاته، على شكل مسار (اسفين).

<sup>(\*\*\*\*)</sup> من أقدم النقوش المعروفة -حتى الآن- بالأبجدية الكنعانية، الفينيقية، "نقش تابوت حيرام" ملك جبيل، ويعود إلى نهاية القرن الحادي عشر (ق.م).

نحن لا نرغب في مناقشة مختلف النظريات والآراء المتعلقة بنشوء أول قلم أبجدي، وأيهما كان له التأثير الأكبر في هذا المجال: وادي النيل أم بلاد الرافدين، فهذا ليس مجال بحثنا بالذات، علماً أن بعضهم أعطى كتابات جزيرة كريت (الألفان الثالث والثاني ق.م)، دوراً في نشوء الأبجدية الكنعانية، لقد اكتفينا بإيراد جدول لإيضاح "النظرية السينائية" (\*\*\*\*) التي تعكس بشكل أو بآخر مكانة الكتابة المصرية الهيروغليفية، ولا سيما في نهاية عصر الملكية الوسطى (٢٠٥٢-١٧٧٠ ق.م) عندما راح المصريون يستعملون "أربعين صورة" من صور كتابتهم كرموز لقيم صوتية "وحدات هجائية". ولكن الكتابة هي سبيل إلى المعرفة، ويبدو أن الطبقة الحاكمة الفرعونية المحافظة، في مصر القديمة، لم تشجع على الانتقال إلى الخطوة التالية، أي جعل هذه الرموز الهجائية حروف هجاء، دون اللجوء إلى صور أخرى في كتابة الكلمات؛ فظلت الكتابة المصرية "الهيروغليفية" مزيجاً معقداً من صور ورموز وحروف هجاء، وبذلك ظلت امتيازاً لفئة من الكتبة المختارين، الذين يدرسون في البلاط الملكي، قبل أن ينخرطوا في سلك الجهاز الإداري، لمختلف دواوين الدولة<sup>(٢)</sup>.

## ٢- من المقطع الصوتي الصوري إلى الحرف الأبجدي الكنعاني (الفينيقي):

يعود الفضل في إبداع الأبجدية للكنعانيين<sup>(٣)</sup>، الذين خطوا الخطوة الحاسمة انطلاقاً من مبدأ الأكروفونيا<sup>(٤)</sup>، فاتخذوا الرموز الصورية وأعطوها قيماً صوتية تلائم الأصوات الهجائية في لسانهم، فاتخذوا مثلاً الرمز الذي يشير إلى "البيت" وسموه "بت" وأصبحت صورة البيت لا تمثل ولا تلفظ "بيت" بل الصوت الهجائي الأول في الكلمة وهو حرف "ب" وصورة العين لا تمثلها، بل تمثل الوحدة الصوتية "ع" و"اليود" لا تمثل "اليد" رمزاً ولفظاً، بل الحرف الأول "ي" وهكذا دواليك.... وتكونت هكذا الأبجدية الكنعانية "الفينيقية" وعدد حروفها (٢٢) حرفاً بترتيب:

أبجد - هوز - حطي - كلمن - سغفص - قرشت.

وكان كنعانيو ( "أجرت - أوغاريت" رأس شمرة) قد سبقوا أبناء عموماتهم الجنوبيين، فجرّدوا المقاطع الصوتية المسمارية، لبلاد الرافدين، بطريقة شبيهة بأبجدية جليل، ولكن سقوط العاصمة الشمالية للعالم الكنعاني، في نهاية القرن الثالث عشر (ق.م) على يد شعوب البحر، أوقف عملية تطوّر كتابة الأبجدية المسمارية الشمالية لمدينة "أجرت".

(\*\*\*\*) انظر الملحق (رقم ٧) في آخر البحث مع الملاحق الأخرى.

(١) ظلت الكتابة في مصر الفرعونية حكراً على الطبقة الحاكمة وعلى أتباعها من الكهنة والكتبة وأحاطوا أصولها بالسرية، وتحتوي الكلمتان "هيروغليفية"، و"هراطيقية" جذراً يفيد القدسية "هروس" والمصري الذي يكون قد ارتفع إلى مرتبة "كتاب" ليُدخل في خدمة البلاط الملكي، ينال فوائد عظيمة ويصبح من المجلين في المجتمع.

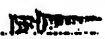

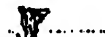

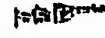

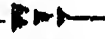




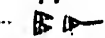


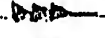





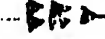

(٢) كما ذكرنا، أطلق الإغريق (اعتباراً من القرن التاسع ق.م - في الأوديسة - تلك اللحمة النسوبة إلى هوميروس مع الإلياذة). اسم "فينيقيين" على بعض الكنعانيين من سكان الساحل الشامي (صيدون، صور، الخ....) علماً أن التسمية غير واردة في كتاباتنا القديمة، بل نجد دائماً التسمية الكنعانية، ثم انتشر هذا الخطأ الشائع في الأدبيات اليونانية واللاتينية فيما بعد.

(٣) كلمة يونانية مركبة بمعنى "الصوت الهجائي الأول في كلمة ما: فصورة "كف" مثلاً لا تلفظ "كف" بل الصوت الهجائي الأول في الكلمة وهو حرف (ك)، وصورة "رأس" لا تمثل وتلفظ "ريش" بل الحرف الأول في الكلمة وهو "ر". ومن المعروف أنه لكل حرف أبجدي مدلول يشير إلى رمز صوتي.

# التراث العربي

وبمقارنة سريعة لحروف أبجدية جبيل المتطورة بما يقابلها في الأبجدية الشمالية المسمارية "الاجريزية"، نلاحظ الشوط الكبير الذي حققته أبجدية جبيل الجنوبية:

(انظر الجدول المقارن في الصفحة التالية).

عربي	اللفظ اللغوي	أبجدية اجريت	أبجدية جبيل	الأبجدية الزانية	الأبجدية الآشورية
أ	ألف (رأس ثور)		𐤀	Aa Aα	𐤀
ب	بش (بيت)		𐤁	Bb Bβ	𐤁
ج	جشم (جمل)		𐤂	Gg Γγ	𐤂
د	دالت (باب)		𐤃	Dd Δδ	𐤃
هـ	هش (شيلة)		𐤄	Ee Eε	𐤄
و	واو (ورد)		𐤅	-	𐤅
ز	زنيه (سلاح)		𐤆	Zz Zz	𐤆
ح	حط (حائط)		𐤇	-	𐤇
ط	طرت (أضيق، تعطل)		𐤈	-	𐤈
ي	يوت (يد)		𐤉	Ii Iι	𐤉
ك	كفت (كف)		𐤊	Kk Kκ	𐤊
ل	لث (عصا)		𐤋	Ll Λλ	𐤋
م	مش (مياه)		𐤌	Mm Mμ	𐤌
ن	نوت (سمك)		𐤍	Nn Nν	𐤍
س	سناخ (منشد)		𐤎	Ss Σσ	𐤎
ع	عين (عين)		𐤏	-	𐤏
ف	فث (فم)		𐤐	Ff φφ	𐤐
ص	صوال (نمطان للصيد)		𐤑	-	𐤑
ق	قوف (عقف، بقعة)		𐤒	Qq Q (حرف مراءى)	𐤒
ر	ريش (رأس)		𐤓	Rr Pρ	𐤓
س/ش/شن/شن (سرن)	-		𐤔	-	𐤔
ت	تماش (إشارة علامة)		𐤕	Tt Tτ	𐤕

وهاكم بعض الملاحظات بالنسبة للجدول أعلاه:

أولاً: من الواضح أن أبجدية جبيل هي أقرب من أبجدية "أجرت" - أو غاريت" إلى مفهوم الكتابة السريعة كما عهدناها فيما بعد.

ثانياً: قلنا أن أبجدية "أجرت" المسمارية ضمت (٢٩ حرفاً) ولم نذكر منها سوى (٢٢ حرفاً)، كما هي واردة في أبجدية جبيل، وفي الحقيقة، نطق أهل جبيل وغيرهم من كنعانيين عصرهم وكذلك أولئك الذين نقلوا عن هؤلاء الأبجدية، كالآراميين والاسرائيليين القدماء والمؤابيين بعض الحروف بطريقتين. فمثلاً حرف "ج" لفظوه كما نعرفه في العربية وأحياناً نطقوه "غ"، وحرف "د" هو "ذ" أو "ذ" وحرف "ك" هو "ك" أو "خ" وحرف "ت" هو "ت" أو "ث" الخ...

وهذه الحروف الملفوظة بطريقتين موجودة في أبجدية، "أجرت".

ثالثاً: لا نجد حرف "ض" لا في أبجدية "أجرت" (\*) ولا في "جبيل". وعندما نقول "أبجدية جبيل"، فهذا لا يعني مطلقاً، أنها خاصة بمدينة جبيل، ولأننا عثرنا على أقدم نقش في جبيل، أطلقنا اسم المدينة عليها. وفي الواقع، انتشر استعمال هذه الأبجدية في مختلف أنحاء بلاد الشام. أما حرف "ض" فنجد في شتى ألسن الجزيرة العربية، في اللهجات اليمنية المختلفة، وفي لهجات الجزيرة العربية الشمالية (انظر الجدول رقم (١)، في الفرعين ٤ أ - ٤ ب) وكذلك صفحة - (الجدول رقم ٢).

رابعاً: عن أبجدية جبيل، أخذ الإغريق خطهم وكذلك الكتابة اللاتينية تكونت انطلاقاً من اليونانية والأتروسكية ذات المنبت المشرقي. ومن المدهش أن بعض الحروف اللاتينية وقبلها اليونانية حافظت على أسماء حروف أبجدية جبيل وأحياناً على نفس الترتيب والشكل. فمثلاً حرف "𐤀" في جبيل أصبح "ألفاً" في اليونانية وهو "A" وحرف "𐤁" هو "بتا" اليوناني وشكله "B" أي بتحويله من اليمين إلى اليسار. وحرف "𐤂" هو "𐤃" دلّتا في اليونانية وحرف "𐤄" هو حرف "K" كبا في اليونانية مع تحويل اتجاهه، حرف "𐤅" أصبح "L" لمدا في اليونانية، حرف "𐤆" أصبح "M" أي بقلبه إلى الأعلى M.. مع قطع أحد ضلعيه وكذلك حرف "𐤇" بقلبه إلى الأعلى مع قطع الضلع، الخ... وجدير بالذكر أن ترتيب هذه الحروف هو واحد في مختلف الأبجديات المذكورة أعلاه:

جبيل (ك ل م ن) - العربية (ك ل م ن) - اليونانية واللاتينية (K, L, M, N) والأصل كما هو معروف في أبجدية جبيل.

### 3- من الأبجدية الكنعانية إلى الكتابات الآرامية:

نقل الآراميون قلمهم عن معاصريهم الساحليين، الكنعانيين "الفينيقيين"، وبه كتبوا نصوصهم الأولى، وكتابة ولغة تلك النصوص (من القرن العاشر إلى القرن السابع ق.م) تشبهان، وإلى درجة كبيرة، محتويات

(\*) هذا ما نقره حتى يومنا هذا المراجع الأكاديمية، وهو الأمر المتعارف عليه - حتى الآن - لدى ذوي الاختصاص، مع العلم بأنه تمّ العثور، في السنوات الأخيرة، على نقش جديد في أوغاريت - كما قلنا سابقاً - قد يفيد بعكس ذلك. ولما تحسّم المسألة.

## \*\*\*\*\*العراق العربي\*\*\*\*\*

النصوص الكنعانية المعاصرة لها. ولا شك في أن الآراميين الذين نقلوا عن جيرانهم الكنعانيين "الفينيقيين" قلمهم، راحوا يطورون بدءاً من القرن السادس (ق.م) كتابة خاصة بهم، قبل أن يتفرّع منها، منذ القرن الثالث (ق.م) كتابات آرامية محلية، في مختلف أصقاع المشرق العربي.

إن كان آراميو بلاد الشام قد استعملوا الأبجدية الكنعانية "الفينيقية" في بادئ الأمر، فإن آراميي بلاد الرافدين قد اقتبسوا قلمهم الأول من الكتابة المسمارية الرافدية، قبل أن تتطور لدى الطرفين كتابة آرامية موحدة في مختلف الدويلات الآرامية.

اشتهر الآراميون بتجارّتهم النشطة داخلياً وخارجياً، وكما أن أقرباءهم الكنعانيين قد ذاع صيتهم في مجال التجارة البحرية، ونقلوا السلع المستوردة ومنتجاتهم إلى مختلف أرجاء البحر الأبيض المتوسط، فإن الآراميين اشتهروا بتجارّتهم البرية وأصبحوا المتحكمين بالقوافل التجارية بين الساحل الكنعاني وبلاد الرافدين وفارس والأناضول، وكما انتقلت لغة الكنعانيين، وكتاباتهم مع تجارتهم غرباً، فكذلك انتشرت لغة الآراميين وكتاباتهم شرقاً مع قوافلهم التجارية، وساهمت في تكوين بعض كتابات فارس والهند وآسية الصغرى والقفقاس، بالإضافة طبعاً إلى كتاباتنا الآرامية المحلية: تدمرية نبطية الخ... وكما أسلفناه، لم يستمر نفوذ الآراميين السياسي، في بلاد الشام وشمال بلاد الرافدين إلا لفترة محدودة (من القرن العاشر وحتى القرن السادس ق.م). ويبدو ضئيلاً، إذا ما قارناه بتاريخ مختلف الأقوام والدول التي سبقتهم أو عاصرتهم، ولكن دورهم الثقافي، ولاسيما في حقل اللغة والكتابة، كان أساسياً ومذهلاً في تراث مشرقنا العربي القديم، في العصرين الفارسي- الأخميني والهلنستي الروماني، (كما جاء سابقاً في بحث اللغة).

ففي العصر الفارسي- الأخميني، أصبحت الآرامية لغة دبلوماسية دولية وكانت لغة الإدارة والحكم مع الفارسية، في مختلف أرجاء الامبراطورية الفارسية- الأخمينية، اعتباراً من القرن السادس (ق.م) وحتى الربع الأخير للقرن الرابع (ق.م)، وتلك هي "الآرامية الامبراطورية".

وعندما انهارت الامبراطورية الفارسية- الأخمينية، تحت ضربات الاسكندر المقدوني (٣٣١ ق.م)، فقدت الآرامية السند الذي جعلها لغة رسمية موحدة، ذات لهجة متماسكة في مختلف ولايات الامبراطورية وراحت تفقد نقاوتها نسبياً، وانكمشت قليلاً أمام اللغة اليونانية، ولاسيما في ميادين الحكم والإدارة، وراحت تتكون عدة لهجات وكتابات آرامية محلية، مشتقة من الآرامية الأم، ويمكننا بدءاً من القرن الأول (ق.م) تصنيف مختلف اللهجات والكتابات الآرامية في بلاد الشام والرافدين كالأتي، ضمن مجموعتين أساسيتين: الشرقية والغربية<sup>(١)</sup>، وسيكون لبعض كتابات هاتين المجموعتين دور في نشوء الكتابة العربية الحجازية، منذ القرن الرابع للميلاد (28).

### وتضم المجموعة الشرقية:

أ- السريانية : بفروعها النسطوري واليعقوبي، عندما اعتنق آراميو بلاد الشام والرافدين المسيحية، صاروا يُعرفون باسم "السريان" بدءاً من القرن الثاني للميلاد.

<sup>(١)</sup> انظر الجدول (١) شجرة السن الوطن العربي القديم (رقم ٨٠٧٤).

ب- لهجة تلمود بابل: وقلمها هو الآرامي المرتب.

ج- المنداعية : في جنوب العراق، والمنداعيون هم "أهل المعرفة"، وعرفوا في العصر الإسلامي الأول باسم (الصابئة).

د- الحرانية : نسبة إلى مدينة حران، شمالي بلاد الرافدين، وعُرفت في المصادر الكلاسيكية اليونانية واللاتينية باسم Hellenpolis "مدينة الهلنيتين". ظلوا على وثنياتهم في العصر المسيحي الأول، وكانت المدينة في العصر العباسي - ولاسيما في عهد المأمون - مركز إشعاع علمي وفلسفي.

وتشتمل المجموعة الغربية على :

أ- الآرامية الفلسطينية: وتحوي كتابات "تلمود أورشليم" (١٠) وبعض الكتابات المسيحية الأولى، من أناجيل وغيرها.

ب- النبطية : وهي كتابات الأنباط، وبالنسبة لموضوعنا تطوّر القلم النبطي، من القرن الثالث للميلاد وحتى نهاية القرن الرابع، وكان له دور، مع الكتابة السريانية، في ميلاد الخط العربي الحجازي.

ج- التدمرية : وتمثل نقوش دولة تدمر (٣٣ ق.م - ٢٧٢ م) في مختلف أنحاء بلاد الشام والرافدين وفارس وحيث تواجد الجنود والتجار التدمريون.

#### 4- الكتابة العربية الحجازية بين الأقلام الآرامية والخطّ المُسنَد:

من المعلوم، أنه قد ازدهرت، منذ نهاية الألف الثاني (ق.م) حضارة عربية قديمة، في جنوبي شبه الجزيرة العربية، ولقد طوّرت أقوامها كتابات قديمة، قريبة بعضها من بعض، ويُطلق على قلم تلك الكتابات اسم "الخط المُسنَد"، وهو أقدم الخطوط المعروفة - حتى الآن - في شبه الجزيرة العربية، ويسميه البعض بالخط "الحميري"، إذ إن الحميريين هم آخر من كتب به، علماً أنه قد سبقهم إليه في إيداعه وتطويره، أقوام عربية أخرى، من سبئيين ومعينيين وقتباتيين وغيرهم (١١).

ونقرأ كتابات "المسند/ الحميري" من اليمين إلى اليسار - كما هو مألوف في الكتابات الكنعانية والآرامية والعربية، كما أننا نقرؤه أحياناً، من اليسار إلى اليمين، على طريقة الكتابات اليونانية واللاتينية والكتابات المنقرعة عن هذه أو تلك.

ومنذ نهاية القرن الماضي وحتى يومنا هذا، يزداد عدد النقوش المكتشفة في أواسط شبه الجزيرة العربية وشمالها، وفي شرقي الأردن وفي حوران، مكتشفات أزاحت النقاب عن ثلاث مجموعات متشابهة من النقوش المنقورة في الصخر، كتاباتها شديدة الصلة بقلم النقوش العربية اليمنية القديمة؛ والجدير بالذكر، قرابة

(١٠) تعني كلمة تلمود "تعليم"، ويتضمن التلمود الشرائع التي وضعها أحرار اليهود لتفسير أسفار التوراة، ونجد فيه أيضاً اجتهاداتهم غير العصور، ولدينا تلمودان "البابلي والأورشليمي أو الطبراني"، والأول أكثر تكاملاً من الثاني.

(١١) انظر الجدول (رقم ١) شجرة السن .... "ب".

لهجات هذه النقوش، بما عهدناه في عربية معلقات الشعر الجاهلي والقرآن الكريم<sup>(\*\*\*)</sup>، ويمكن تصنيف هذه النقوش كما يلي:

أ- النقوش الثمودية: وقد تم اكتشافها في أماكن مختلفة من وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها. ووُزعت هذه النقوش على عدة مجموعات يتراوح تاريخها بين القرن الرابع (ق.م) والقرن الخامس م، (قراءة تسعة قرون).

ب- النقوش اللحيانية: وعُثر عليها، في الدرجة الأولى، في منطقة العلا، شمالي الحجاز، وتعود إلى القرن الخامس حتى القرن الثالث (ق.م).

ج- النقوش الصفائية، نسبةً إلى تلّول الصفا البركانية، شرقي اللجاء، في منطقة حوران، ويتراوح تاريخها بي من القرن الأول (ق.م) ومنتصف القرن الرابع للميلاد.

كما نلاحظ أعلاه، تشمل النقوش الثمودية واللحيانية والصفائية، مدة تسعة قرون تقريباً، (القرن الخامس ق.م- القرن الرابع ميلادي)، ولغة هذه النقوش شديدة الصلة بالعربية الصريحة الحجازية، التي انتشرت مع الفتوحات الإسلامية، على الرغم من وجود بعض أوجه الخلاف، من أهمها أداة التعريف، فهذه الطوائف الثلاث (ثمودية، لحيانية، صفوية) تستعمل "الهاء" كأداة للتعريف، في حين جعلت العربية الحجازية الصريحة "أل" التعريف، بينما نجد أن الكتابات اليمينية الجنوبية (معينية، سبئية، حبشية، حميرية، الخ...) قد وضعت الـ "ن" في آخر الكلمة للتعريف.

حتى السنوات الأخيرة كان الرأي السائد في الأوساط الجامعية والأكاديمية المهمة بقضايا الاستشراق، أن الخطوط: العربي الحجازي ثم النسخي غرباً والكوفي شرقاً، قد تطوّرت بتأثير قلمين آرامي الأصل: السرياني والنبطي، أما القلم المسند وفروعه، فلم يعطها معظم الباحثين دوراً يذكر. أما نحن فنعتقد أن هذا الموقف لم يعد مقبولاً، لأسباب عديدة، فما هو الجديد في الموضوع؟!

لا نود أن نسهب في أمر روايات الأخباريين والرواة العرب حول أصول الكتابة العربية الشمالية، نظراً إلى أن مختلف الآراء في هذا الموضوع، لا تشفي غليلنا وذلك لاضطرابها وتناقضها من جهة وللطابع الأسطوري الذي يغلب عليها من جهة أخرى.

نلاحظ أولاً أن سوادهم الأعظم يرى أن القلم العربي الشمالي نشأ في الحيرة، ويطلق عليه اسم "الجزم" جاء في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، في مادة (جزم): "والجزم في الخط تسوية الحروف والقلم لا حرف له، وهذا الخط المؤلف من حروف المعجم، لأنه جُزم أي قطع عن خط جَمِيز... "

ويذكر (ابن خلكان): "... انتقل الخط الحميري إلى الحيرة في عهد المناذرة" (30)

ويضيف (ابن خلدون)، في روايته عن أصل الكتابة العربية الشمالية أن "... أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنتها الحيرة من التبابعة وحمير من اليمن..." (31).

<sup>(\*\*\*)</sup> انظر الجدول (رقم ١) شجرة السن .... "١٤" و "جدول رقم ٦".

ويقول (ناجي زين الدين): حول أصول الخط العربي وتسميته بالجزم: "لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى "الجزم"، قبل وجود الكوفة لأنه جُزِم أي اقتطع وولد من المسند الحميري ومرامر وهو الذي اقتطعه ولعله وضع صورته.. والخط الكوفي قديم الوضع، وضعه سيدنا اسماعيل... ومما يدعم هذه الأقوال في الجزم مطابقة عدد حروفه الكاملة لما جاء في الحديث النبوي المروي عن أبي ذر الغفاري، قول النبي: "يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبياً ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً..." (32).

ولقد اعتبروا الحرف للتاسع والعشرين "لا".

نلاحظ أن روايات الأخباريين العرب تتضافر على أن الكتابة كانت شائعة بين عرب الحيرة قبيل الإسلام وأن بعض الحجازيين عرفوا تلك الكتابة وتعلموها قبل أن يعلموها في ديارهم فيما بعد.

ولكن كما نعلم، ليس بحوزتنا حتى يومنا هذا من وثائق لغوية تاريخية عربيتها قريبة من عربية المعلقات والقرآن الكريم، ولقلمها يختلف عما وجدناه في المسند ومشتقاته، سوى بعض الكتابات، التي تعد على أصابع اليد وهي الوثائق التي عثر عليها في المنطقة النبطية، أو في الأنحاء التي تمت بصلة إلى الأنباط أصلاً، أي في بلاد الشام، وأشرنا إلى هذه النقوش أعلاه.

ومن دراستنا لهذه الوثائق، نلاحظ أنها وجدت في منطقة الأنباط وفي تلك التي تأثرت بتقافتهم بشكل أو بآخر. وهذا مادعا للكثيرين إلى القول إن الخط النبطي. هو أصل الكتابة العربية الشمالية، بينما يرى البعض الآخر أنه كان للكتابة السريانية دورٌ ملحوظ في تطور القلم العربي الشمالي.

وهكذا، كان النقاش محصوراً حول أثر كل من الكتبتين النبطية والسريانية في نشوء وتطور القلم العربي الشمالي بشكليه للنسخي والكوفي (الحيري). ومن المعلوم أن الكتبتين النبطية والسريانية صدرتا أصلاً عن القلم الآرامي (انظر جدول رقم ١ "أرامية ٦"). ولقد قبلنا أيضاً هذا الرأي (٣٣)، حتى عام ١٩٨١، عندما نشرنا دراستنا "في أصول الكتابة العربية" وقلنا أنه لا يمكننا أن نقبل الرأي السائد في الأوساط الجامعية والأكاديمية، بعد الدراسات المقارنة التي قمنا بها.

لقد أوضحنا في دراستنا، أن القلم النبطي (الآرامي) راح يتعد تدريجياً عن أصله الآرامي، بعد سقوط الأنباط، (عام ١٠٦ م)، ليتقرب أكثر فأكثر من القلم المسند الحميري والخطوط المشتقة منه. (الحيتي، ثمودي، صفاتي)، وبذلك راح يتكون قلم نبطي متأخر كان له دور جزري في نشوء القلم العربي القديم بفرعيه: الكوفي والنسخي، (انظر ملحق ٧)، حول "نظرية طور سيناء"، وأصل الأقلام الأبجدية أي أن الخط النبطي المتأخر ذا الأصل الآرامي. والذي كان له دورٌ كبيرٌ في نشوء القلم الغربي الحجازي، قد تطور هو نفسه بتأثير من الخط المسند الحميري وفرعيه: التمودي والصفاتي (\*).

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، تشرين الأول ١٩٨١، ص. ٥٩-١١١، حيث بحثنا، في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية - الإسلامية، في دمشق، جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ ميلادي.







### جدول رقم ٣

الرقم	الفونيتيقي	العربي		الفونيتيقي	نقش		الفونيتيقي	الفونيتيقي	سرياني عجمي			
		مشرق	مغرب		الملاحة	الزراعة	الحرف	الحرف	الزراعة	الحرف	الزراعة	الحرف
١	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
٢	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
٣	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
٤	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث
٥	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
٦	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٧	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ	خ
٨	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د
٩	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ
١٠	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
١١	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
١٢	س	س	س	س	س	س	س	س	س	س	س	س
١٣	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش
١٤	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
١٥	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض
١٦	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
١٧	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
١٨	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
١٩	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٢٠	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٢١	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٢٢	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٢٣	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٢٤	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٢٥	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٢٦	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٢٧	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٢٨	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٢٩	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٣٠	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
٣١	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
٣٢	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
٣٣	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٣٤	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٣٥	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٣٦	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٣٧	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٣٨	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٣٩	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٤٠	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٤١	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٤٢	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٤٣	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٤٤	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
٤٥	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
٤٦	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
٤٧	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٤٨	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٤٩	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٥٠	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٥١	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٥٢	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٥٣	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٥٤	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٥٥	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٥٦	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٥٧	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٥٨	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
٥٩	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
٦٠	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
٦١	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٦٢	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٦٣	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٦٤	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٦٥	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٦٦	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٦٧	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٦٨	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٦٩	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٧٠	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٧١	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٧٢	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
٧٣	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
٧٤	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
٧٥	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٧٦	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٧٧	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٧٨	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٧٩	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٨٠	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٨١	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٨٢	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٨٣	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٨٤	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٨٥	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
٨٦	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
٨٧	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
٨٨	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
٨٩	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
٩٠	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
٩١	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٩٢	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٩٣	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٩٤	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
٩٥	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٩٦	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
٩٧	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و	و
٩٨	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٩٩	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
١٠٠	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط

ملحق (١) "أ"

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١  
 ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮  
 ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚

شكل ١: نقش أم "الجمال الأولى" بكتابة نبطية (انظر الجدول رقم ٥ من المجموعة ب) وبمفردات آرامية وعربية، وهذا نصه مع الترجمة العربية:

القراءة الحرفية

النص :	دنه	نفشو	فهر و
الترجمة:	هذا	قبر	فهر
	١	٢	٣
النص:	بر	شلي	ربو
الترجمة:	بن	سلي	مربي
	٤ (أ)	٤ (ب)	٥
النص:	ملك	تنوخ	
الترجمة	ملك	تنوخ	
	٧	٨	

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خانة ٥).

ملحق (٢) "أ"

١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١  
 ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢ ١ ٢ ١

النص:	دنا	نفش	مر	القيس	بر	عمرو	ملك	العرب	كله	ذو	اسر	التاج
الترجمة	هذا	قبر	امرئ	القيس	بن	عمرو	ملك	العرب	كلهم	الذين	نال	التاج

السطر الأول من نقش للنمارة، ونلاحظ اتصال الحروف في الكلمة أكثر مما رأيناه أعلاه، في نقش "أم الجمال الأولى".

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خانة ٦).

ملحق (٣) "أ"

أنا شرحيل بر كلمو سيد / الموكو

شكل ٣- السطر الأول من "كتابة حرّان" وتاريخ النقش هو سنة ٤٦٣ بحسب تقويم بصرى النبطي، حيث أصبحت بصرى عوضاً عن البتراء، عاصمة العالم النبطي، بعد أن قضى الامبراطور الروماني تريانوس على يد حاكم سورية الروماني A. C. PALMA على مملكة الأنباط وألحق أراضيها بالامبراطورية الرومانية عام (١٠٦ ميلادي)، باسم "الولاية العربية" Provincia Arabia وإذا أضفنا (رقم ١٠٦) على (٤٦٣) نحصل على تاريخ النقش بالميلادي، وهو (٥٦٨). أي قبل بدء التاريخ الهجري بـ ٥٣ عاماً، ووُجد هذا النقش، كما ذكرنا سابقاً على حجر فوق باب مزار أقيم للقديس يوحنا المعمدان، في حرّان، "اللبّانة" شمالي جبل العرب، وهو مكتوب بالعربية واليونانية.

النص: أنا شرحيل بر كلمو بنيت ذا المرطور  
الترجمة: أنا شرحيل بن كلمو بنيت هذا المشهد (المرطور)

ملحق (٤) "أ"

امسى واصبح عمر  
مهاو كى سيد  
الى الله صخر  
ما

شكل ٤- المقطع الأول من ثلاثة مقاطع منقورة في صخر جبل سلع بالقرب من المدينة المنورة من عهد الخلفاء الراشدين، وبعض حروف النقش قد عفا عليها الزمن، ونضيفها بين قوسين ونقرأ كالتالي:

امسى	واصبح	عمر	و	ابو بكر	يتور (عائ)	إلى	الله	من	كل
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ما	يُكره	١٢							

ملحق (٥) "أ"

- ١- اهل لو .....
- ٢- عبد الله عبد الماجد
- ٣- امر المومنين رحمه الله

شكل ٥- من كتابة كوفية منقورة في حجر طريق يعود لأيام عبد الملك بن مروان، وعثر على الحجر في فلسطين، ونقرأ كالتالي:

- ١- الطريق... (بقية السطر غير واضحة) ..
- ٢- عبد الله عبد الملك.
- ٣- أمير المؤمنين رحمه الله.

شكل ٦-

- ١- وكسب هذا الطبع
- ٢- سوال من سنة أربع و
- ٣- سلس

الأسطر الثلاثة الأخيرة من كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد الأسعدي، عُثر عليه في وادي الأبيض بلواء كربلاء، وتاريخ الكتابة سنة (٦٤هـ) وهي كالتالي:

- ١- وكتب هذا الكتب في
- ٢- شوال من سنة أربع وستين.

بسم الله الرحمن الرحيم	والسما ذ	ت البروج	واليوم المو	عود و
السطر: ١	٢	٣	٤	٥
				٦

بسم الله الرحمن الرحيم  
 الحمد لله رب العالمين  
 وصلى الله على سيدنا محمد  
 وآله الطيبين الطاهرين  
 وسلم

الط

٢

٣

٤

٥

٦

كتابة بخط كوفي على رق الغزال من المصحف الكريم

المنسوب للخليفة علي بن أبي طالب

(من روائع خزانة الروضة الحيدرية في النجف).

ملحق ٦





## المصادر والمراجع:

- ١- برومليه، وبودولني، الأتوس والتاريخ، ترجمة طارق معصراني، طبع في الاتحاد السوفياتي، دار التقدم ١٩٨٨؛ عبد العزيز بنعبدالله، الوحدة الأصلية بين اللغات، مظهر لوحدة اتسائية عريقة، مجلة اللسان العربي، الرباط (المغرب الأقصى)، المجلد السابع، الجزء الأول ١٣٨٩ / ١٩٧٠ ص ٥ / ١٩٧٠، ومابعدھا: الدكتور حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار المعارف، بمصر ١٩٧١.
- ٢- اللغة والمجتمع الأنسلي، مجلة للسان العربي، الرباط (المغرب الأقصى)، العدد السادس، 1970/1388، صفحة ١٤.
- ٣- محمد محفل، المدخل إلى اللغة الآرامية، منشورات جامعة دمشق الطبعة الخامسة، ١٤١١-١٤١٢هـ / ١٩٩١-١٩٩٤م. صفحة ٥.
- ٤- تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ص ٢٨٧.
- ٥- باقيه، بيستون، رويان، الغول، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥؛ الفريد بيستون، قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند" ترجمة الدكتور رفعت هزيم، جامعة اليرموك ١٩٩٥.
- ٦- محمود محمد الروسان، القبائل التمودية والصفوية، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ص (٥١، ٢٢٧، ٣٢٨، ٣٨٠).
- 7 - P. Bordreuil D. Pardee , Un Abécédaire Du type sud - sémitique découvert en 1988 dans les fouilles archéologiques francaises de Ras - Shamra - Ougarit , in Académic des , Inscriptions et Belles - Lettres, Paris , 1995, p. p. 856-860.
- ٨- محمد محفل ، المدخل إلى اللغة الآرامية، ص، ص ٤١-٤٥.
- ٩- المرجع نفسه، ص ١١٤، الدكتور أحمد أرحيم هبو، المدخل إلى اللغة السرياقية وآدابها، منشورات جامعة حلب، صفحة ١٣١ وما بعدها.
- ١٠- الدكتور علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ودار الأفاق الجديدة، الدار البيضاء جزاءن، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- 11- C, Robin , Les plus ANCIENS Monuments De La Langue Arabe , In, L, Arabic Antique De kARIBIL a Mahomet, Edisud , No, 61. 1992, p. p 113-125
- وانظر أيضاً، محمد محفل، في أصول الكتابة العربية، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العدد السادس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، صفحة ٩٦ وما بعدها.
- ١٢- الدكتور لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، سينا للنشر، طبعة ثانية ١٩٩٣، صفحة ٢٥.
- ١٣- انظر، محمد محفل، المدخل إلى اللغة الآرامية، صفحة ١٩، وما بعدها.
- ١٤- السيوطي، المزهري، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨. ج ١، صفحة ٢٠٩.
- ١٥- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة بلا تاريخ صفحة ١٨٦.
- ١٦- محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهاب، حلب ١٩٦٩، صفحة ١٠٠.
- ١٧- نفس المرجع، صفحة ٩٩.

١٨- د. مسعود بوبو، عن تاريخ اللغة العربية، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٣٧-٣٨، ١٩٩٠، صفحة ١٦.

١٩- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، صفحة ٦٤٦.

20- R, Dussaud La Pénétration des Arabes en Syrie Avant L, Islam, I, F, A, B, , in B, A, H, Tome LIX Paris , (Geuthner), 1955, Israel , E PH' AL , The Ancient Arabs , Nomads on The Border of The fertile crescent gth .-5th Centuries B, C, LEIDIN (Brill) 1982.

٢١- الناشر مكتبة الخانجي، بمصر، طبعة ثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م. صفحة ٥.

٢٢- نفس المرجع ، صفحة ١٠.

٢٣- نفس المرجع، صفحة ١٣.

٢٤- نفس المرجع، صفحة ١٧.

٢٥- نفس المرجع، صفحة ١٩.

٢٦- د. محمد بهجت قببسي، ملاح في فقه اللهجات العربيات من الألفية حتى الحصرية، أطروحة دكتوراة، جامعة كراتشي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، وأتيح لنا أن نكون عضواً في اللجنة الفاحصة، والدراسة غير منشورة حتى الآن. وعلى كل، فمنطلقات الموضوع هي أقرب إلى المنطق الاجتماعي/ اللغوي مما قرأناه لدى الدكتور جعفر بك الباب في دراسته نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

٢٧- حجة القراءات، للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه، سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٢، صفحة ٨.

٢٨- لمزيد من المعلومات، انظر محفل، في أصول الكتابة العربية، مجلة دراسات تاريخية العدد السادس، تشرين الأول ١٩٨١، جامعة دمشق، صفحة ٦٣، وما بعدها.

٢٩- انظر حول هذا الموضوع، إضافة لبحثنا أعلاه:

أصل الخط العربي وتاريخ تطوره (من محاضرات ليمان في الجامعة المصرية)، نشر مجلة كلية الآداب، القاهرة ١٣٥٤هـ؛ أحمد يوسف، الخط الكوفي، القاهرة ١٣٥٢هـ؛ صلاح الدين المنجد، الكتاب العربي المخطوط، القاهرة ١٩٦٠؛ أنيس فريجة، الخط العربي، نشأته ومشكلاته، بيروت ١٩٦١؛ أحمد فخري، أحدث الاكتشافات الأثرية في اليمن، مجموعة أبحاث المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، فاس ١٩٥٩ (مطبوعات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٦٠)؛ خليل يحيى نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، مجلد ٢، مايو ١٩٣٥، صفحة ١٠٤، وما بعدها. ومن المراجع الأجنبية:

Hoftijzer , j, c, Dictionnaire des inscriptions sémitiques de L'Ouest, Leiden (Brill) 1963, Driver , G, R, , Semitic Writing from Pictograph to Alphabet, London 1954, Abbott Nabiha , The rise of the North Arabic Script , CHICAGO 1939.

٣٠- وفوات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاهرة ١٩٤٨، ج ١، صفحة ٣٤٦.

٣١- المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٥٧، صفحة ١١٥.

٣٢- مصور الخط العربي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠، صفحة ٢٩٨.

٣٣- محمد محفل، المدخل إلى اللغة الآرامية، صفحة ٢٧.

